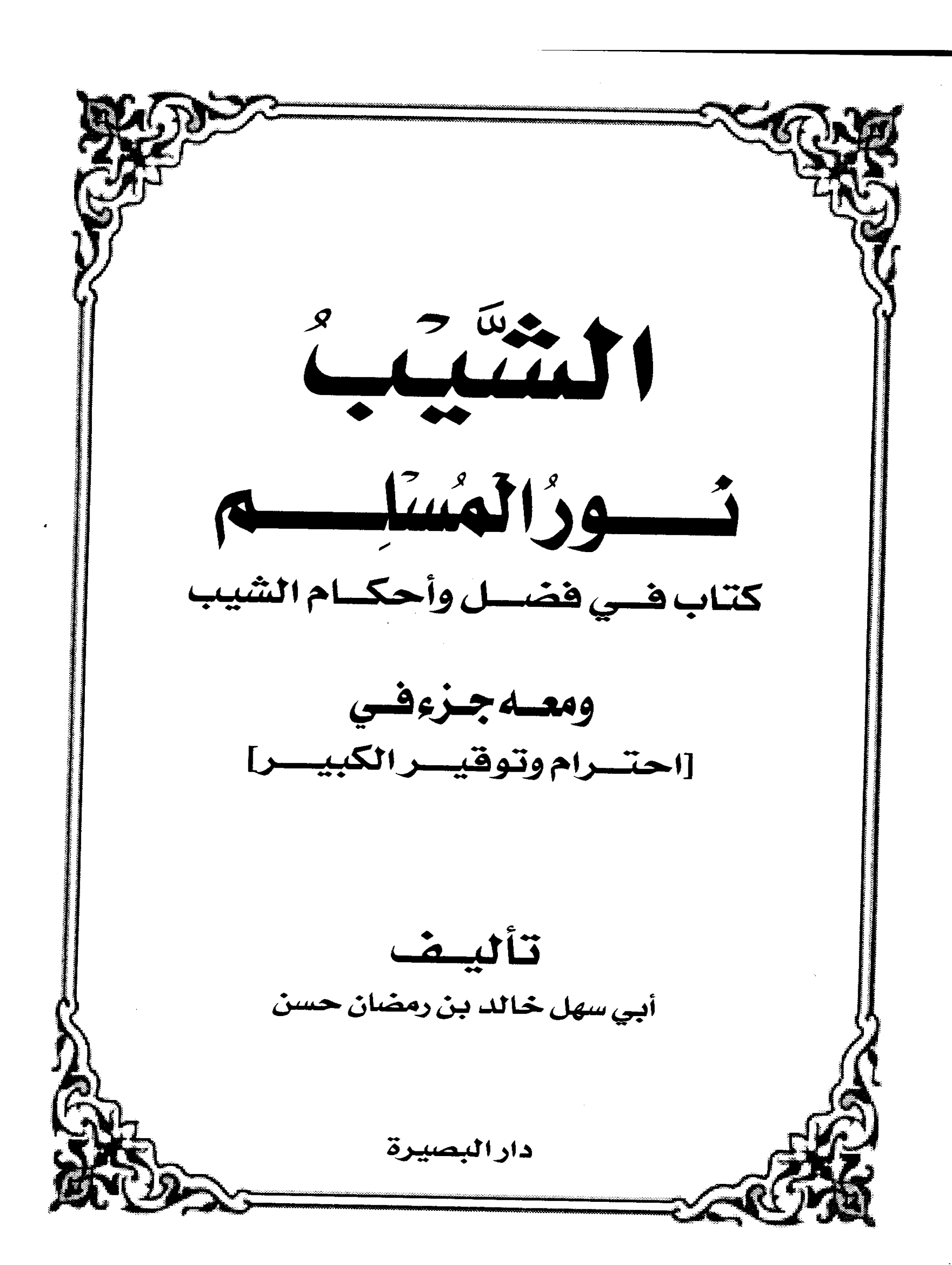


الشَّيْبُ

نُورُ المُسْلِم

كتاب في فضل وأحكام الشيب

ومعه جزء في

[احترام وتوقير الكبير]

تأليف

أبي سهل خالد بن رمضان حسن

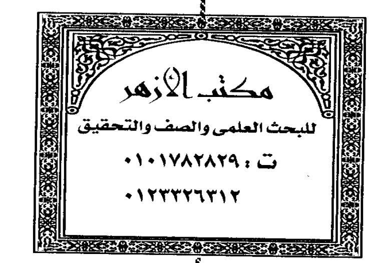
دار البصيرة




الشيب
نـــور المسلـــم

بسم الله الرحمن الرحيم

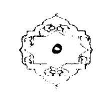
رَبَّـنا تَقَبَّـلْ منـَّا إِنَّـكَ
أَنـتَ السَّميـعُ العَلِيـم



الطبعة الأولى

رقم الإيداع	٢٠٠٦ / ٥١٣٤

دار البصيرة
جمهورية مصر العربية
الإسكندرية. ٢٤ ش كانوب. كامب شيزار.
ت: ٥٩٠١٥٨٠



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن يا كريم

خُطبة الكتاب

الحمـد لله، والصلاة والسلام على رسـول الله، وعلى آله وصحـبه ومن والاه.

وبعد:

١ ـ فهذا «كتاب الشيب نور المسلم».. وضعناه لإبراز هذا الفضل، ولبيان طائفة من أحكامه في الإسلام.

٢ ـ ونقصد به: رضـا الله تعالى وقبوله... ثم إيقافُ كُلِّ ذي شـيبة على فضل مـا هو فيه.. فـتغتـبط نفسـه بذلك، ويصحح النية عـلى ترك الشيب وحاله.. أو تغييره وخضابه، كما نُبين جملةً من أحكامه.

٣ ـ والمقصود أنَّ أعمالَ المسلمين، لابد وأنْ تخـرج مَخرج العلم؛ إذ كما قيل: العلم قبل القول والعمل.

والله تعالى نسأل القبول والنفع، إنه تعالى سميع قريب مجيب.

وصَلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وأمته

وآخر دعوانا، أن: الحمد لله رب العالمين.

كتبـــه

أبو سهل خالد بن رمضان حسن

السبت: ٥ ربيع الآخر، ١٤٢٦ هـ ـ الموافق: ٢٠٠٥/٥/١٤م.

مصر ـ بني سويف ـ ميدان مولد النبي

الفصــل الأول

تعــريف الشيب

* **جاء في « مختار الصِّحَاح»:**

«**الشَّيْب، والْمَشيب:** واحد[١].

ومَشيبًا أيضًا، فهو شائب.

وقال الأصمعي: **الشَّيْبُ:** بياض الشعر.

والمشيب: دخول الرجل في حَدِّ الشِّيب من الرجال.

والأشيب: الْمُبْيَضّ الرأس.. وجمعه شِيبٌ». أهـ.

* **وفي «لسان العرب»:**

«الشيب: معروف، قلـيله وكثـيره بياض الشعر.

والـمشـيب مثله، وربـما سُمي الشعر نفسه شيبًا.

شَابَ يشـيب شيبًـا، ومشـيبًا وشيبةً، وهو أشيب، على غـير قياس؛ لأن هذا النعت إنما يكون من باب فعل يفعل، ولا فعلاء له.

قيل: الشيب بياض الشعر.

ويقال: علاه الشيب.

ويقال: رجل أشيب، ولا يقال: امرأة شيباء، لا تُنعت بـه الـمرأة، اكتفوا

---

(١) يقصد : أي هما بمعنى واحد.

بالشمطاء عن الشيباء، وقد يقال: شَابَ رأسها.

والـمشـيب: دخول الرجل في حد الشـيب من الرجال؛ قال ابن السكيت في قول عدي:

تصبـــو وأنَّـى لك التصابي * والرأس قـد شابـه الـمشـيب**

يعني بَيَّضَه الـمشـيب، وليس معناه خالطه؛ قال ابن بري: هذا البيت زعم الجوهري أنه لعدي، وهو لعبـيد بن الأبرص(١).

وقول الشاعر: قد رابه.

ولـمثل ذلك رابه وقع الـمشـيب على السواد، فشابه

أي بيض مسوده.

والأشيب: الـمبيض الرأس.

وشيـبه الـحزن، وشيب الـحـزن رأسه، وبرأسه، وأشاب رأســه وبرأسه، وقوم شـيب، ويجوز في الشعر شيب، على التمام؛ هذا قول أهل اللغة.

قال ابن سيده: وعندي أن شيبًا إنما هو جمع شائب، كما قالوا بازل وبزل، أو جمع شيــوب، على لغة الحجازيـين، كـما قالوا دجاجـة بيوض، ودجاج بيض؛ وقول الرائد: وجدت عـشباً وتعاشـيب، وكـمأةً شـيب، إنما يعني به البـيض الكبار.

والشيب: جمع أشيب.

والشيب: الجـبال يسقط عليها الثلج، فتشـيب به.

وقول عدي بن زيد:

(١) البيت فعلا لعبيد وليس لعدي، ولكن عُجز البيت: أنَّى وقد راعك المشيب.

أَرِقْــتُ لِـمُكفهَــر بـــات *** فيه بوارقُ يرتقـين رؤوسَ شـيبِ

وقال بعضهم: الشيب ههنا سحائـب بيض، واحدها أشيب؛ وقيل: هـي جبـال مبيـضة من الثلـج، أو من الغبـار؛ وقيل: شـيب اسم جـبل، ذكره الكميت، فقال:

فما فُدرٌ عواقــل أحرزتهـــا *** عَمَايَةَ أو تَضَمنهنَّ شـيب.[1]

وشيب شائب.

أرادوا به المبالغة على حد قولهم: شعر شاعر، ولا فعل له.

واشتعل الرأس شيبًا، نصب على التـميـيز؛ وقيل على المصدر؛ لأنه حين قال: اشتعل. كأنه قال: شاب. فقال شيبًا.

وأشــاب الرجل: شــاب ولده، وكــانت العــرب تقــول للبكر إذا زفت إلى زوجها، فـدخل بها ولم يفترعها ليلة زفـافها: باتت بليلة حرة؛ وإن افتــرعها تلك الليلة، قالوا: باتت بليلة شيباء؛ وقال عروة بن الورد:

كليلةَ شيباءَ التي لستَ ناسـيًا *** ولَيْلَتنَا إذ مَنَّ مــا مَنَّ قرمـلُ[2]

---

(١) فُدرٌ: "فدر الفحل يفدر فـدورا فهو فادر: فتر وانقطع وجفـر عن الضراب وعدل والجمع فدر وفوادر. ابن الاعرابي: يقال للفحل إذا انقطع عن الضـراب فدر وفدر وافدر واصله في الإبل. وطعام مفدر ومفدرة عن اللحياني: يقطع عن الجماع تقول العرب: أكل البطيخ مفدرة". انظر "لسان العرب".

(٢) قرمل: "القرمل: نبات وقـيل: شجـر صغـار ضعـاف لا شوك له واحـدته قرملـة. قال اللحياني: القرملة شجرة من الحـمض ضعيفة لا ذرى لها ولا سـترة ولا ملجا قال: وفي المثل: ذليل عاذ بقرملة وبعضهم يقول: ذليل عائذ بقرملة يقال هذا لمن يستعين بمن لا دفع له وباذل منه والعـرب تقـوله للرجل الـذليل يعـوذ بمن هو أضـعف منه". انظر "لسـان العرب".

فكنت كليلة الشيباء، همت بمنع الشكر، أتأمها القبيل وقيل: ياء شيباء بدل من واو؛ لأن ماء الرجل شاب ماء المرأة، غير أنَّا لم نسمعهم قالوا بليلة شوباء؛ جعلوا هذا بدلاً لازمًا كعيد وأعياد.

وليلة شيباء: آخر ليلة من الشهر، ويوم أشيب شيبان: فيه غيم وصراد وبرد. وشيبان وملحان: شهرا قماح، وهما أشد شهور الشتاء بردًا، وهما اللذان يقول من لا يعرفهما: كانُونٌ وكانُونُ؛ قال الكميت:

إذا أمستِ الآفاقُ غُبْرًا جُنوبُها بشِيبانَ * أو مِلْحان، واليوم أشهبُ**

أي من الثلج؛ هكذا رواه ابن سلمة، بكسر الشين والميم، وإنما سميا بذلك لابيضاض الأرض بما عليها من الثلج والصقيع، وهما عند طلوع العقرب والنسر؛ وقول ساعدة:

شاب الغرابُ ولا فؤادُك تاركٌ * ذِكرَ الغَضوبِ ولا عتَابُك يُعتبُ**

أراد: طال عليك الأمر حتى كان ما لا يكون أبداً، وهو شيب الغراب.

وشيبان: قبيلة، وهم الشيابنة.

وشيبان: حي من بكر، وهما شيبانان: أحدهما شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، والآخر شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة.

وشيبة: اسم رجل، مفتاح الكعبة في ولده، وهو شيبة بن عثمان بن طلحة ابن عبدالدار بن قصي.

والشيب، بالكسر، حكاية صوت مشافر الإبل عند الشرب. قال ذو الرمة ووصف إبلاً تشرب: في حوض متثلم، وأصوات مشافرها شيب شيب:

تَدَاعَيْنَ باسم الشِّيبِ في مُتَثَلِّم * جَوَانِبُهُ مِن بَصْرَةٍ وَسَلاَم**

وشـيـبا السـوط: سيـران في رأسه، وشـيـب السوط: مـعروف؛ عـربي صحيح. وشـيب والشيب، وشابة: جبلان معروفان؛ قال أبو ذؤيب:

كَأَنَّ ثِقَالَ الـمُزْنِ، بين تُضَارعٍ * وشابةَ بَرْكٌ من جُذَامَ لَبِـيجُ**[1]

وفي الصحاح: شابة، في شِعْرِ أبي ذؤيب: اسم جبل بنجد، وقد يجوز أن تكون أَلِفُ شابة منقلبةً عن واوٍ؛ لأن في الكلام (ش و ب) كما أن فيه ش ي ب. التهذيب: شابة اسم جبل بناحية الـحجاز، والله سبحانه أعلم». أهـ.

*وفي كتاب »جمهرة الأمثال«:

«والشوب الخلط؛ شـبته خلطته؛ ومنه سُـمى الشيب شيبًـا؛ لأنه إذا ظهر خلط بياضه بسـواد الشباب.. وإنما قالوا: الشيب بالياء، والأصل واو؛ ليدل كل واحد من اللفظين على معناه من غير إشكال». أهـ.

*وفي «المعجم الوجيز»:

«وفي الأكثر أنْ يُقال للرجل: أشيب.

وللمرأة: شمطاء». أهـ.



---

(١) "أراد بَرْك من إبل جذام، وخصهم لأنهم أكثر الناس إبلا". "وبرك لبيج: وهو إبل الحي كلهم إذا اقامت حول البيوت باركة كالمضروب بالأرض". انظر "لسان العرب".

* مَطْلَبٌ في مواضع لفظة (الشيب) في القرآن الكريم:

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بألفاظ متعددة، وهي:

١ ـ **شَيْبًا**.. وذلك في قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[مريم: ٤].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في «تفسيره»:

«أي اضطرم المشيب في السواد، كما قال ابن دريد في مقصورته:

أما ترى رأسي حاكى لونـه طرة صبـح تحت أذيال الدجى

واشتعل المبيض في مسـودة مثل اشتعال النار في جمر الغضا

والمراد من هذا: الإخبار عن الضعف والكبر ودلائله الظاهرة والباطنة». أهـ.

٢ ـ **شِيبًا**.. وذلك في قوله تعالى:

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾[المزمل: ١٧].

قال الواحدي ـ رحمه الله تعالى ـ في «تفسيره»:

«فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا». أي: فكيف تتحصنون من عذاب يومٍ، يشيب الطفل لهوله وشدته؛ إن كفرتم اليوم في الدنيا». أهـ.

٣ ـ **شيبة**.. وذلك في قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾[الروم: ٥٤].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في «تفسيره»:

«ينبه تعالى على تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالاً بعد حال:

فأصله من تراب.. ثم من نطفة.. ثم من علقة.. ثم من مضغة.. ثم يصير عظاماً.. ثم تُكسى العظام لحمًا.. وينفخ فيه الروح.. ثم يخرج من بطن أمه ضعيفًا نحيفًا واهن القوى.. ثم يشب قليلاً قليلاً حتى يكون صغيرًا.. ثم حَدَثًا ثم مراهقًا شابًا.. وهو القوة بعد الضعف.

ثم يشرع في النقص فيكتهل ثم يشيخ ثم يهرم.. وهو الضعف بعد القوة؛ فتضعف الهمة والحركة والبطش، وتشيب اللمة، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿**ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء**﴾. أي يفعل ما يشاء ويتصرف في عبيده بما يريد. (وهو العليم القدير). أهـ.

بل وقد ورد في القرآن الكريم بغير اسمه، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[فاطر: من الآية٣٧].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في «فتح الباري»:

«وقد اختلف أهل التفسير فيه، فالأكثر على أن المراد به الشيب، لأنه يأتي في سن الكهولة فما بعدها، وهو علامة لمفارقة سن الصبى الذي هو مظنة اللهو، وقال علي: المراد به النبي ﷺ». أهـ.

* * *

* مَطْلَبٌ في مواضع لفظة (الشيب) في السنة المطهرة:

وأمَّا ورود هذه اللفظة في السنة، فكثير، وسيـأتي كُلٌّ في موضعه إن شاء الله تعالى.

* * *

*مَطْلَبٌ في مواضع لفظة (الشيب) في الشِّعْرِ العربي:

ووردت أيضًا هذه اللفظة في دواوين الشعر العربي كثيرًا جدًا، وقد وردت بصيغهـا المختلفة، مثل: شاب.. يشيب.. شيبـة.. مشيب.. وغير هذا.. كما أنها وردت بألفاظ معانيها، والتي هي البياض وما في معناه.

ولكن نذكر من ذلك أشهرَ بيتٍ وردت فيه هذه اللفظة، وهو بيت:

فيا ليت الشبابَ يعودُ يومًا فأُخْبِرُهُ بما صنع المشيبُ

وهذا البيت الشهير جدًا، هو لأبي العتاهية

وهو آخر بـيتٍ لقصيـدته، والتي على بحـر الوافر، وعـدد أبياتهـا أربعة أبيات، وهي:

بكيتُ على الشبابِ بدمعِ عيني	فلم يُغْنِ البكـاءُ ولا النحيـبُ
فيا اسفا أسفتُ علـى شبـابٍ	نعاهالشَّيبُ والـرأسُ الخضـيبُ
عريتُ من الشبابِ وكان غضًـا	كما يَعْرَى من الـوَرَقِ القضيبُ
فيا ليـتَ الشبـابَ يعـودُ يومًا	فأُخْبِـرُهُ بما صنـع المشيـبُ

* * *

*مَطْلَبٌ في مـواضع لفظة (الشـيب) في الأمـثـال العـربيـة، ومحاسن الكلام:

١ ــ جاء في كتاب «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ :

«أظلم من الشيب».

قال الميداني ـ رحمه الله تعالى ـ في «مجمع الأمثال»:

«لأنه ربما يهجم على صاحبه قبل إبانه». أهـ.

٢ ـ «وفي مجمع الأمثال» للميداني:

«أبغض من قدح اللبلاب، **ومن الشيب إلـى الغواني**، ومن ريح السداب إلى الحيان، ومن سجادة الزانية، ومن وجوه التجار يوم الكساد».

٣ ـ «وفي مجمع الأمثال» للميداني:

«الشيب قناع المقت.

يعني أن الغواني تمقت المشايخ، كما قال:

رأين شيخا ذرئت مجاليه *** يقلي الغواني والغواني تقليه».

٤ ـ «وفي مجمع الأمثال» للميداني:

«قال الكميت يصف النساء وزهدهن في ذوي الشيب:

لَهُنَّ وللمشيبِ ومَـنْ عَلاَهُ   من الأمثالِ قائبةٌ وقــوبُ[1]

---

(١) "والقوبي: المولع بأكل الأقواباً وهي الفراخ وأنشد:

لهن وللمشيب ومن عـــلاه   مـــن الامثال قائبة وقـــوب

مَثَّلَ هربَ النساء من الشيوخ بهرب القوب وهو الفرخ من القـائبة وهي البيضة فيقول: لا ترجع الحسناء الى الشيخ كما لا يـرجع الفرخ الى البيضة. وفي المثل: تخلصت قائبة من قوب يضرب مثلا للرجل اذا انفصل من صاحـبه. قال أعرابي من بني أسد لتاجر". انظر "لسان العرب".

أي إذا رأين الشيب فارقن صاحبه ولم يعدن إليه».

وفي هذا يقول الجاحظ ـ رحمه الله تعالى ـ في «البيان والتبيين»:

«وقال العتبي:

رأين الغواني الشيبَ لاحَ بعارضـي * فأعرضن عني بالخدودِ النواضرِ**

وكُـنَّ إذا أبصرننــي أو سمعننــي * سعين فرقعن الكُوى بالمحاجـر**

لئن حجبـت عنــي نواظرُ أعــين * رمين بأحداق المَها والجـــآذرِ**

فإنـي مـــن قوم كـــرام أصُولُهـــم * لأقدامهم صيغت رؤوسُ المنابر**

خلائف في الإسلام فـي الشرك قادة * بهم وإليهم فخـر كل مفاخر».**

أهـ.

٥ ـ وفي «المستقصى في أمثال العرب»:

«تقول وعهد القين قد كان عهدها * أليس بمنسيك المشيب التصابيا».**

٦ـ وفي «جمهرة الأمثال»:

«أحافـرة علـى صلـع وشيب * معـــاذ اللـــه مـن سفه وعـار**

أي: أرجوعًا الى الصبا والجهل بعد الشيب».

٧ ـ وفي «المستطرف من كل فن مستظرف»:

«وقال الشعبي: الشيب علة لا يُعاد منها، ومصيبة لا يُعزى عليها».

٨ ـ وفي «المستطرف» أيضًا:

«ويقال في الرجل إذا شاب: ليله عسعس، وصبحه تنفس.

إذا نازع الشيب الشباب فاصلتا بسيفيهما، فالشيب لا شك غالب».

٩ـ وفي «البيان والتبيين»:

«وقال بعضهم: الشيب نذير الآخرة.

وقال قيس بن عاصم: الشيب خطام المنية.

وقال آخر: الشيب توأم الموت.

وقال الحكيم: شَيَّبَ الشَّعْرُ موت الشعر، وموت الشعر علة موت البشر.

وقال المعتمر بن سليمان: الشيب أول مراحل الموت.

وقال السهمي: الشيب تمهيد الْحِمام[1].

وقال العتابي: الشيب تاريخ الكتاب.

وقال النمري: الشيب عنوان الكبر.

وقال عدي بن زيد العبادي: وابيضاض السواد من نذر الشر، وهل مثله لحي نذير.

وقال الآخر:

أصبح الشيب في المفارق شاعا * واكتسى الرأ س من بياض قناعًا**

ثم ولى الشبـاب إلا قليـلا * ثم يأبى القليـل إلا نزاعًا**». أهـ.

١٠ ـ وفي «فقه اللغة» للثعالبي:

«من سنن العرب: أن تستعير للشيء ما يليق به، ويضعوا الكلمة مستعارة له من موضع آخر.

وكقولهم في محاسن الكلام:

الأدَبُ غِذاءُ الرُّوح، الشَّباب باكورَةُ الحَياةِ، الشَّيب عنوان الموت». أهـ.

---

(١) أي الموت.

١١ـ وقد كنوا بقولهم (ابن ماء) عن الشيب:

ففي «جمهرة الأمثال»:

«وابن مـاء: مـا يسكن الماءَ من الطـيرِ.. وكـني به عن الشـيب في قـول الشاعر:

وكم فـر الغـرابُ مـن ابـن مـاء

يعني الشبابَ والشيبَ».

١٢ـ وقد شبهوا الشيب بالنسر:

ففي «خزانة الأدب»:

«وأما ترشيح الاستعارة، فكقول بعض العرب:

إذا ما رأيت النسر عزى ابن دأية * وعشش في وكريه طارت له نفسي**

فإنه شبه الشيب بالنسر لاشتراكهـما في البياض، وشبه الشعر الأسود بابن دأية وهو الغراب؛ لاشـتراكـهما في السـواد، واستـعار التعـشش من الطائر للشيب لما سـماه نسرًا، ورشح به إلى ذكر الطيـران الذي استعاره لنفـسه من الطائر، فقد ترشح باستعارة إلى استعارة». أهـ.

١٣ـ وشبهوه أيضًا بالثغامة:

ففي «النهاية في غريب الحديث»:

«ثغم: فيه (أُتى بأبي قحافة يوم الفتح، وكأن رأسه ثغامة).

هو نبت أبيض الزهر والثمر، **يشبه به الشيب**.

وقيل هي شجرة تبيض كأنها الثلج». أهـ.

١٤ـ ومن أسماء الشيب: الشمط:

ففي «النهاية في غريب الحديث»:

«شمط: في حديث أنس: (لو شئت أن أعد شـمطات كن في رأس رسول الله ﷺ فعلت).

الشمط: الشيب.. والـشمطات: الشعـرات البيض الـتي كانت في شـعر رأسه». أهـ.

١٥ ـ ومن أسماء الشيب: القتير:

ففي «النهاية في غريب الحديث»: «والقتير: الشيب».

وفي «لسان العرب»:

«والقَتِيرُ: الشَّيْبُ، وقيل: هو أَوّل ما يظهر منه». أهـ.

١٦ ـ ومن أسماء الشيب: الوضح:

ففي «النهاية في غريب الحديث»:

«ومنه الحديث: (غيروا الوضح) أي الشيب.. يعني أخضبوه».

١٧ ـ ومن أسماء الشيب: الوَخْط:

ففي «فقه اللغة» للثعالبي:

«الوَخْطُ أولُ الشَّيْب».

❊ ❊ ❊

*مَطْلَبٌ في ظهور الشيب وعمومه:

*قال الثعالبي في «فقه اللغة»:

«يُقَالُ للرَّجُلِ أوَّلَ مَا يَظْهَرُ الشَّيْبُ بِهِ: قَدْ وَخَطَهُ الشَّيْبُ.

فَإِذا زَادَ قِيلَ: قَدْ خَصَّفَهُ وَخَوَّصَهُ.

فإذا ابْيَضَّ بَعْضُ رَأْسِهِ قِيلَ: أَخْلَسَ رأسُهُ، فهو مَخْلِس.

فإذا غَلَبَ بَيَاضُهُ سَوَادَهُ، فَهُوَ أَغْثَمُ. عَنْ أبي زَيْدٍ.

فإذا شَمِطَتْ مَوَاضِعُ من لِحْيَتِهِ قِيلَ: قَدْ وَخَزَهُ القَتِيرُ ولَهَزَهُ.

فإذا كَثُرَ فِيــهِ الشَّيبُ وانْتَشرَ قِيلَ: قَدْ تَفَشَّغَ فِيهِ الشَّــيْبُ. عَنْ أبي عُبَيْدٍ عَنْ أبي عَمْرٍو». أهـ.

* **وفي «أدب الكاتب»:**

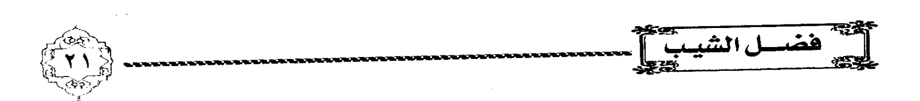
«ويقال: رجل ملهوز: إذا بدا الشيب في رأسه.

ثم هو أشمط: إذا اختلط السواد والبياض.

ثم هو أشيب».

* وفي «جمهرة الأمثال»: «والمخلد: الذي شاخ وبقي سواد شعره.. يُقال: رجل مخلد: إذا كبر ولـم يشب، وجعله أسود الشعـر؛ لأنه لا يهتم بالشيء أصلاً؛ لأن الشيب مما يهم الأحمق والعاقل جميعًا، فإذا بقي سواد شعره كأن أقل لهمه». أهـ.





الفصـل الثانـي

فَضْلُ الشَّيْب

وقد ثبت للشيب فضـائل، وهي في ما حَدَّثَ به رسول الله ﷺ ، ومن ذلك:

١ ـ عن ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**الشيب نور المؤمن، لا يشيب رجل شيـبة في الإسلام: إلا كانت له بكل شيـبة حسنة، ورُفع بها درجة**»(١).

٢ ـ وعن ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يشيب شيـبة في الإسـلام إلا كـتب الله له بها حـسنة، وحط عنه بهـا خطيئة**»(٢).

٣ ـ وعن كعب بن مرة رضي الله تـعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «**من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورًا يوم القيامة**»(٣).

---

(١) **حديث حسن:** أخرجه البـيهقي في "شُعب الإيمان". وانـظر "صحيح الجامع الصـغير" للعلاَّمة الألباني رحمه الله تعالى.

(٢) **حديث صحيح:** أخرجه أبو داود في "سننه". وانظر "صـحيح الجامع الصغيـر" للعلاَّمة الألباني رحمه الله تعالى.

(٣) **حديث صحيح:** أخرجه الترمـذي، والنسائي، وانظر "صحيح الجامع الصغـير" للعلاَّمة الألباني رحمه الله تعالى.

٤ ــ وعن عمـرو بن عبـسة رضي الله تعالى عنـه، أن النبي ﷺ قال: «**من شَابَ شيبة في سبيل الله: كانت له نورًا يوم القيامة**»(١).

٥ ــ عن ابن عـمر رضي الله تعـالى عنهـما، أن النبي ﷺ قـال: «**لا تنتفـوا الشيب؛ ما من مـسلم يشيب شـيبة في الإسـلام: إلا كانت له نورا يوم القيامة**»(٢).

٦ ــ وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إن من إجلال الله: إكرام ذي الشـيبة المسلم، وحامل القـرآن غير الغالي فـيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**»(٣).

تقرر في هذه الأحاديث الثابتة، جـملة من الفضائل للشيب، ولمن شَابَ، فكان من هذا الفضل:

١ ــ أن الله تعالى يكتب له بكل شيبة حسنة.

٢ ــ أن الله تعالى يرفعه درجة.

٣ ــ أن الله تعالى يحط عنه الخطايا.

٤ ــ أن الله تعالى يُكرم ذي الشيبة المسلم.

٥ ــ أن الشيبة تكون له نورًا يوم القيامة.

وذلك لأن الشـيب «يمنعـه عن: الغـرور، والخـفة، والـطيش، ويميله إلى

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، وانظر "صحيح الجامع الصغير".

(٢) **حديث صحيح**: أخرجه أبو داود في "سننه". وانظر "صحيح الجامع الصغير".

(٣) **حديث حسن**: أخرجه أبو داود في "سننه". وانظر "صحيح الجامع الصغير".

الطاعـة، وتنكسر به نفسه عـن الشهـوات، وكل ذلك موجب للثـواب يوم المآب»[١].

«وفيه ترغيب بليغ في إبقاء الشيب، وترك التعرض لإزالته»[٢].

وقال العلامة المناوي رحمه الله تعـالى ـ في «الفيض» ـ شارحًا قوله صلى الله عليه وسلم: «إن من إجلال الله: إكرام ذي الشيبة المسلم».

«(إن من إجـلال الـلّه): أي تبـجـيـله وتعظيـمـه.. (إكـرام ذي): أي صاحب.. (الشيبة المسلم): أي تعظيم الشيخ الكبير صاحب الشيبة البيضاء، الذي عمره في الإيمان، وتوقـيره في المجالس، والرفق به، والشفـقة عليه». أهـ.

قـال السفـاريني ـ رحمـه الله تعـالى ـ في «غذاء الألبـاب شرح منظومـة الآداب»:

"فَلا يَنْبَـغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكْرَهَ الشَّيْبَ؛ لأَنَّهُ نُورُ الْإِسْـلامِ، وَوَقَارٌ مِنْ الْمَلِكِ السَّلامِ".

وقد ظهـر فضل الشيب بين الناس، وتكلمـوا فيه بما يبين فـائدته، ويُظهر عائدته.

* ففي «البيان والتـبيين»: أن «سحيم عبد بني الحسحـاس قال له عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وانشده قصيدته التي أولها:

عميرة ودع إن تجهـزت غاديًا * كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيًا**

لو كان شعرك كله مثل هذا لأجزتك». أهـ.

---

(١) "فيض القدير شرح الجامع الصغير" للعلامة المناوي رحمه الله تعالى.

(٢) "عون المعبود شرح سنن أبي داود".

* وفي «البيان والتبيين» أيضًا:

وقال الحسن بن هانىء:

أية نار قدح القادح *** وأي جد بلغ المازح

لله در الشيب من واعظ *** وناصح لو حظي الناصح

يأبى الفتى إلا اتباع الهوى *** ومنهج الحق له واضح

فاسم بعينيك إلى نسوة *** مهورهن العمل الصالح

لا يجتلي العذراء من خدرها *** إلا امرؤ ميزانه راجح

من اتقى الله فذاك الذي *** سيق إليه المتجر الرابح». أهـ.

وقال صاحب «قِرَى الضيف»:

"الخليل بن أحمد القاضي السجزي، من أفضل القضاة، وأشهر أدبائهم، وله شعر الفقهاء؛ كقوله:

الشيب أبهى من الشباب *** فلا تهجنه بالخضاب

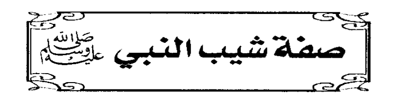
هذا غراب وذاك باز *** والباز خير من الغراب". أهـ.

وقال عمر بن زيد:

الشيبُ حلمٌ راجحٌ ورزانةٌ *** فيه وتجربةٌ لمن قد جرَّبا



الفصل الثالث



صفة شيب النبي ﷺ

وهذا الفصل في بيان صفة شيب النبي ﷺ .

أولاً: ثبوت ومقدار الشيب للنبي ﷺ :

* عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسًا: أَخَضَبَ النَّبِيُّ ﷺ ؟ قَالَ: لَمْ يَبْلُغْ الشَّيْبَ إِلا قَلِيلا(١).

* وعن عَبْـدِاللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ الأَوْدِيِّ عَنْ هِشَامٍ عَنْ ابْنِ سِيـرِينَ قَالَ: سُئِلَ أَنَسُ بْنُ مَـالِكٍ: هَلْ خَـضَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَـالَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَأَى مِنْ الشَّيْبِ إِلا . قَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ: كَأَنَّهُ يُقَلِّلُهُ، وَقَدْ خَـضَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ(٢).

* وعَنْ خُلَيْـدِ بْنِ جَعْـفَرٍ؛ سَـمِعَ أَبَا إِيَاسٍ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ شَـيْبِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ فَقَالَ: مَا شَانَهُ اللَّهُ بِبَيْضَاءَ(٣).

* وعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ سُئِلَ عَنْ شَيْبِ النَّبِيِّ

---

(١) **حديث صحيح:** أخرجه البخاري في "كتاب اللباس" "باب ما يُذكر في الشيب"، ومسلم في "كتاب الفضائل" "باب شيبه".

(٢) **حديث صحيح:** أخرجه مسلم في "كتاب الفضائل" "باب شيبه".

(٣) **حديث صحيح:** أخرجه مسلم في "كتاب الفضائل" "باب شيبه".

ﷺ فَقَالَ: كَانَ إِذَا دَهَنَ رَأْسَهُ لَمْ يُرَ مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِذَا لَمْ يَدْهُنْ رُئِيَ مِنْهُ[١].

* وعَنْ حُمَيْدٍ قَالَ: سُئِلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَخَضَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَرَ مِنَ الشَّيْبِ إِلا نَحْوَ سَبْعَةَ عَشَرَ أَوْ عِشْرِينَ شَعَرَةً، فِي مُقَدَّمِ لِحْيَتِهِ[٢].

*وعَنْ عُبَيْدِاللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ شَيْبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَحْوَ عِشْرِينَ شَعَرَةً[٣].

*وعَنْ عُبَيْدِاللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: عَدَدْتُ شَيْبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ شَعَرَةً[٤].

*وعَنْ حُمَيْدٍ قَالَ: سُئِلَ أَنَسٌ: هَلْ خَضَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَرَ مِنْ الشَّيْبِ إِلا نَحْوًا مِنْ سَبْعَ عَشْرَةَ أَوْ عِشْرِينَ شَعْرَةً، فِي مُقَدَّمِ لِحْيَتِهِ. وَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَشِنْ بِالشَّيْبِ. فَقِيلَ لأَنَسٍ: أَشَيْنٌ هُوَ؟ قَالَ: كُلُّكُمْ يَكْرَهُهُ، وَلَكِنْ خَضَبَ أَبُو بَكْرٍ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ، وَخَضَبَ عُمَرُ بِالْحِنَّاءِ[٥].

* وعن أَبِي يَعْقُوبَ يَعْنِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ ثَابِتًا الْبُنَانِيَّ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ: هَلْ سَأَلْتَ أَنَسَ بْنَ مَالِك؟ قَالَ ثَابِتٌ: سَأَلْتُ أَنَسًا هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: لَقَدْ قَبَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ وَمَا فَضَحَهُ بِالشَّيْبِ، مَا كَانَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ يَوْمَ مَاتَ ثَلاثُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ. وَقِيلَ لَهُ: أَفَضِيحَةٌ هُوَ؟ قَالَ: أَمَّا

---

(١) **حديث صحيح:** أخرجه مسلم في "كتاب الفضائل" "باب شيبه".

(٢) **حديث حسن:** أخرجه ابن ماجة في "كتاب اللباس" "باب من ترك الخضاب".

(٣) **حديث حسن:** أخرجه ابن ماجة في "كتاب اللباس" "باب من ترك الخضاب".

(٤) **حديث حسن:** أخرجه الإمام أحمد في "المسند".

(٥) **حديث حسن:** أخرجه الإمام أحمد في "المسند".

أَنْتُمْ فَتَعُدُّونَهُ فَضِيحَةً، وَأَمَّا نَحْنُ فَكُنَّا نَعُدُّهُ زَيْنًا.[١]

*وعن حُمَيْد قَالَ: سُئِلَ أَنَسٌ: أَخَضَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: لَمْ يَشِنْهُ الشَّيْبُ. قِيلَ: أَوَشَيْنٌ هُوَ؟ قَالَ: كُلُّكُمْ يَكْرَهُهُ، إِنَّمَا كَانَتْ شُعَيْرَاتٌ فِي مُقَدَّمِ لِحْيَتِه[٢].

*وعَنْ مُحَمَّدٍ ـ هو ابن سيرين ـ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ: هَلْ خَضَبَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ؟ قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَأَى مِنْ الشَّـيْبِ إِلا. يَعْنِي يَسِيـرًا.. وَقَدْ خَضَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. أَحْسِبُ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ[٣].

*وعَنْ ثَابِتٍ، أَنَّ أَنَسًـا سُئِلَ: خَضَبَ النَّـبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: لَمْ يَبْلُغْ شَيْبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا كَانَ يَخْضِبُ، وَلَوْ شِئْـتُ أَنْ أَعُدَّ شَمَطَاتٍ كُنَّ فِي لِحْيَتِهِ لَفَعَـلْتُ، وَلَكِنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يَخْـضِبُ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ، وَكَـانَ عُمَرُ يَـخْضِبُ بِالْحِنَّاء[٤].

* وعَنْ ثَابِتٍ قَالَ: قِيلَ لأَنَسٍ: هَلْ شَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: مَا شَانَهُ اللَّهُ بِالشَّيْبِ، مَا كَانَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ إِلا سَبْعَ عَشْرَةَ، أَوْ ثَمَانِ عَشْرَةَ[٥].

* وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي جُحَيْفَـةَ وَهْبِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ السُّوَائِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى بِالأَبْطَحِ الْعَصْرَ رَكْـعَتَيْنِ، ثُمَّ قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةً بَيْنَهُ

---

(١) **حديث حسن:** أخرجه الإمام أحمد في "المسند".

(٢) **حديث حسن:** أخرجه الإمام أحمد في "المسند".

(٣) **حديث صحيح:** أخرجه الإمام أحمد في "المسند".

(٤) **حديث صحيح:** أخرجه الإمام أحمد في "المسند".

(٥) **حديث صحيح:** أخرجه الإمام أحمد في "المسند".

وَبَيْنَ مَارَّةِ الطَّرِيقِ، وَرَأَيْتُ الشَّيْبَ بِعَنْفَقَتِهِ أَسْفَلَ مِنْ شَفَتِهِ السُّفْلَى[1].

* وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: مَا كَانَ فِي رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الشَّيْبِ إلا شَعَرَاتٌ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، إِذَا ادَّهَنَ وَارَاهُنَّ الدُّهْنُ[2] .

* وعَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: يُكْرَهُ أَنْ يَنْتِفَ الرَّجُلُ الشَّعْرَةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ.

قَالَ: وَلَمْ يَخْتَضِبْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، إِنَّمَا كَانَ الْبَيَاضُ فِي عَنْفَقَتِهِ، وَفِي الصُّدْغَيْنِ، وَفِي الرَّأْسِ نَبْذٌ[3] .

*وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَأَخْرَجَتْ إِلَيْنَا شَعَرًا مِنْ شَعَرِ النَّبِيِّ ﷺ مَخْضُوبًا[4] .

*وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ مَوْهَبٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ. قَالَ: فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ شَعَرًا مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَخْضُوبًا بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ[5].

الفوائد المستنبطة من هذه الأحاديث:

يُستنبط من هذه الأحاديث فوائد عدة، منها:

١ـ ثبوت الشيب للنبي ﷺ .

٢ـ أن الشيب كان في رأس، ولحية، وعنفقة النبي ﷺ .

---

(١) **حديث حسن:** أخرجه الإمام أحمد في "المسند".

(٢) **حديث حسن:** أخرجه الإمام أحمد في "المسند".

(٣) **حديث صحيح:** أخرجه مسلم في "كتاب الفضائل" "باب شيبه".

(٤) **حديث صحيح:** أخرجه البخاري في "كتاب اللباس" "باب ما يذكر في الشيب".

(٥) **صحيح:** أخرجه ابن ماجة، والإمام أحمد.

٣ ـ أن هذا الشيب للنبي ﷺ، لم يكن بالكثير، بل كان من القِلَّة؛ حتى أن الرائي له يستطيع عدَّه.

٤ ـ أن النبي ﷺ كان يَدَّهن شيبه.

٥ ـ أن النبي ﷺ كان قد خضب شعره بالحناء والكتم.

٦ ـ أن مَبْلَغ اهتمام الصحابة رضي الله تعالى عنهم بشأن النبي ﷺ كان عظيمًا؛ حتى أنهم يهتمون بشيب النبي ﷺ عدًّا، وكثرةً وقلَّة، وذلك واضح في قول ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: عَدَدْتُ شَيْبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ شَعَرَةً. وأيضًا قول أنس؛ قال: وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَعُدَّ شَمَطَاتٍ كُنَّ فِي لِحْيَتِهِ لَفَعَلْتُ.

٦ ـ بيان تفسير ألفاظ أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، وهي: (مَا شَانَهُ اللَّهُ بِبَيْضَاءَ). وَقَالَ: (إِنَّهُ لَمْ يَشِنْ بِالشَّيْبِ). وقال: (وَمَا فَضَحَهُ بِالشَّيْبِ). فلما أُشكلت هذه الألفاظ على السامع لها؛ قال: (أَوَشَيْنٌ هُوَ؟). فقال أنس: (كُلُّكُمْ يَكْرَهُهُ). وقالوا أيضًا: (أَفَضِيحَةٌ هُوَ؟). فقال: (أَمَّا أَنْتُمْ فَتَعُدُّونَهُ فَضِيحَةً، وَأَمَّا نَحْنُ فَكُنَّا نَعُدُّهُ زَيْنًا).

تنبيه:

قد ظهر في هذه الأحاديث الخلاف في: هل خضب النبي ﷺ، أو لم يخضب؟

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله تعالى ـ في «الفتح»:

قوله: (مخضوبا) زاد يونس بالحناء والكتم، وكذا لابن أبي خيثمة، وكذا لأحمد عن عفان وعبدالرحمن بن مهدي كلاهما عن سلام، وله من طريق

أبي معـاوية وهو شيبـان بن عبـد الرحمن: «شعـرا أحمـر مخضـوبا بالحناء والكتم» وللإسماعيلي من طريق أبي إسحـاق عن عثمان المذكور: «كان مع أم سلمة من شعر لحية النبي ﷺ فيه أثر الحناء والكتم».

قال الإسـماعـيلي: ليس فيـه بيان أن النبي ﷺ هو الـذي خضب، بل يحـتمل أن يكون أحـمر بعـده لما خالطه من طيب فـيه صـفرة، فـغلبت به الصـفرة. قـال: فـإن كان كـذلك وإلا فـحـديث أنس «أن النبي ﷺ لم يخضب» أصح.

كذا قال، والذي أبداه احتمالا قـد تقدم معناه موصولا إلى أنس في «باب صفة النبي ﷺ» وأنه جزم بأنه إنما أحمر من الطيب.

قلت: «وكثـر من الشـعور التي تُفـصل عن الجسـد إذا طال العهـد يؤول سوادها إلى الحمـرة، وما جنح إليه من الترجيح خلاف مـا جمع به الطبري، وحاصله أن من جزم أنه خضب - كمـا في ظاهر حديث أم سلمة، وكما في حديث ابن عمر الماضي قريبا أنه ﷺ خضب بالصفرة - حكى ما شاهده، وكان ذلك في بعض الأحيان. ومن نفي ذلك كأنس فهو محمول على الأكثر الأغلب من حاله، وقد أخـرج مسلم وأحمد والترمـذي والنسائي من حديث جابـر بن سمرة قـال «ما كـان في رأس النبي ﷺ ولحيـته من الشـيب إلا شعرات كان إذا دهن واراهن الدهن». فيحتمل أن يكون الذين أثبتوا الخضاب شاهدوا الشـعر الأبيض، ثم لما واراه الدهـن ظنوا أنه خضبـه. والله أعلم». أهـ.

وقال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - في «شرح صحيح مسلم»:

«قال القـاضي: اختلف الـعلماء: هل خـضب النبي ﷺ أم لا؟ فمنعـه

الأكثرون بحديث أنس، وهو مـذهب مالك. وقال بعض المحدثين: خضب؛ لحـديث أم سلمـــة هذا، ولحـديث ابن عـمـر أنه رأى النـبي ﷺ يصـبغ بالصفرة.

قال: وجمع بعضـهم بين الأحاديث بما أشار إليه في حـديث أم سلمة من كلام أنس في قوله: فقال: ما أدري في هذا الذي يحدثون، إلا أن يكون شيء من الطيب الذي كان يطيب به شعره. لأنه ﷺ كان يستعمل الطيب كثيرا، وهو يزيل سواد الشعر. فأشـار أنس إلى أن تغيير ذلك ليس بصبغ، وإنما هو لضعف لون سواده بسبب الطيب.

قال: ويحتـمل أن تلك الشعرات تغيـرت بعده لكثرة تطييب أم سلمـة لها إكراما. هذا آخر كلام القاضي.

والمختار: أنه ﷺ صبغ في وقت، وتركه في معظم الأوقات، فأخبر كل بما رأى، وهو صـادق وهذا التـأويل كـالمتـعين؛ فـحـديث ابن عـمـر في الصحيحين، ولا يمكن تركه، ولا تأويل له. والله أعلم.

وأما اختلاف الرواية في قدر شيبه: فالجمع بينها أنه رأى شيئا يسيرًا، فمن أثبت شيبه أخبر عن ذلك اليسير، ومن نفاه أراد أنه لم يكثر فيه، كما قال في الرواية الأخرى: لم يشتد الشيب. أي لم يكثـر، ولم يخرج شعره عن سواده وحسنه. كما قال في الرواية الأخرى: (لم ير من الشيب إلا قليلا). أهـ.

ثانيًا: وقت وسبب شيب النبي ﷺ :

* عن عقـبة بن عامر وأبي جـحيفـة أن النبي ﷺ قال: «**شيـبتني هود وأخواتها**»[1].

---

(١) **حديث صحيح:** أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير". وانظر "صحيح الجامع".

* وعن أبي بكر ﵁، أن النبي ﷺ قال: «**شيبتني هود وأخواتهـا قبل المشيب**»[١] .

* وعن عن أنس ﵁، أن النبي ﷺ قال: «**شيبتني هود وأخواتها من المفصل**»[٢] .

* وعَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﵁: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَدْ شِبْتَ. قَالَ: «**شَيَّبَتْنِي: هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**»[٣] .

فأما ما ظهر من فوائد في هذه الأحاديث:

١ ـ أن النبي ﷺ قد شابَ قبل أوان المشيب، ودليل ذلك: قوله ﷺ في الحديث: «قبل المشيب».

٢ ـ أن سبب مشيب النبي ﷺ سببٌ دينيٌ، وهو تأثره بما في سورة هود وأخواتها من ذِكْرِ يوم القيامة وأهوالها؛ فقال ﷺ: «شيبتني هود وأخواتها».

٣ ـ أن أخوات هذه السورة ـ سورة هود ـ قد بينها النبي ﷺ، وبين موضعها، وأنها من المفصل، فقال ﷺ: «وأخواتها من المفصل«.

٤ ـ أن أخوات هذه السورة، واللاتي هُنَّ من المفصل هن: «الْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ».

«وذلك لما في هذه السور من أهوال يوم القيامة، والمثلات النوازل بالأمم

(١) **حديث صحيح:** أخرجه ابن مردويه، وانظر "صحيح الجامع".

(٢) **حديث صحيح:** أخرجه سعيد بن منصور في سننه، وانظر "صحيح الجامع".

(٣) **حديث صحيح:** أخرجه الترمذي، والحاكم، وانظر "صحيح الجامع".

الماضية؛ أخذ مني مأخذه؛ حتى شبت قبل أوانه. قاله الطيبي»[1].

قال العلامة المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ في «فيض القدير»:

«مما فيه من أهوال القيامة، وشدائدها، وأحوال الأنبياء وما جرى لهم». أهـ.

وقال أيضًا في «الفيض»:

«قال العلماء: لعل ذلك لما فيهن من التخويف الفظيع، والوعيد الشديد؛ لاشتمالهن مع قصرهنّ على حكاية أهوال الآخرة، وعجائبها، وفظائعها، وأحوال الهالكين والمعذبين، مع ما في بعضهن من الأمر بالاستقامة كما مر، وهو من أصعب المقامات، وهو كمقام الشكر؛ إذ هو صرف العبد في كل ذرة ونَفَسٍ جميع ما أنعم الله به عليه من حواسه الظاهرة والباطنة، إلى ما خُلق لأجله من عبادة ربه، بما يليق بكل جارحة من جوارحه على الوجه الأكمل؛ ولهذا لما قيل للمصطفى ﷺ، وقد أجهد نفسه بكثرة البكاء والخوف والضراعة: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكورًا». أهـ.



(١) "تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي".

مطلبٌ في شيب أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام:

«عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام:

أَوَّلَ النَّاسِ ضَيَّفَ الضَّيْفَ.

وَأَوَّلَ النَّاسِ اخْتَتَنَ.

وَأَوَّلَ النَّاسِ قَصَّ الشَّارِبَ.

وَأَوَّلَ النَّاسِ رَأَى الشَّيْبَ. فَقَالَ: يَا رَبِّ مَا هَذَا؟ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَقَارٌ يَا إِبْرَاهِيمُ. فَقَالَ: يَا رَبِّ زِدْنِي وَقَارًا»(١).

وأخرج ابن أبي شيبة ـ رحمه الله تعالى ـ في «المصنف» بسنده: «عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَيْمَنَ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ شَابَ إِبْرَاهِيمُ عليه الصلاة والسلام فَقَالَ: مَا هَذَا ؟ قَالَ: إِجْلَالٌ وَحِلْمٌ».

وقال السفاريني ـ رحمه الله تعالى ـ في «غذاء الألباب»:

«وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يَبْلُغُ الْهَرَمَ وَلَمْ يَشِبْ، وَكَانَ فِي الْقَوْمِ وَالِدٌ وَوَلَدٌ فَلا يُعْرَفُ الابْنُ مِنْ الأَبِ؛ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام: يَا رَبِّ اجْعَلْ لِي شَيْئًا أُعْرَفُ بِهِ. فَأَصْبَحَ رَأْسُهُ وَلِحْيَتُهُ أَبْيَضَيْنِ أَزْهَرَيْنِ أَنْوَرَيْنِ.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَذْكِرَتِهِ مَا نَصُّهُ: وَفِي الإِسْرَائِيلِيَّاتِ: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه الصلاة والسلام لَمَّا رَجَعَ مِنْ تَقْرِيبِ وَلَدِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، رَأَتْ سَارَةُ فِي

---

(١) أخرجه الإمام مالك في "الموطأ" "كتاب" "باب ما جاء في السنة في الفطرة". و"المصنف" لابن أبي شيبة.

لِحْيَتِهِ شَعْرَةً بَيْضَاءَ، وكَانَ عليه الصلاة والسلام أَوَّلَ مَنْ شَابَ، فَأَنْكَرَتْهَا وأَرَتْهُ إِيَّاهَا، فَجَعَلَ يَتَـأَمَّلُهَا فَأَعْجَبَتْهُ، وكَـرِهَتْهَا سَارَةُ وَطَالَبَتْهُ بِإِزَالَـتِهَا فَأَبَى. وأَتَاهُ مَلَكٌ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْك يَا إِبْرَاهِيمُ. وكَانَ اسْمُهُ إِبْرَامَ، فَزَادَهُ فِي اسْمِهِ هَاءً. وَالْهَاءُ فِي السُّرْيَانِيَّـةِ لِلتَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ، فَفَـرِحَ بِذَلِكَ فَقَالَ: أَشْكُرُ إِلَهِي وَإِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ. فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَيَّرَك مُعَظَّمًا فِي أَهْلِ السَّمَوَاتِ وأَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَـدْ وَسَمَكَ بِسِـمَةِ الْوَقَـارِ فِي اسْـمِك وَفِي خَلْقِك، أَمَّا اسْـمُك؛ فَلأَنَّك تُدْعَى فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الأَرْضِ إِبْـرَاهِيمُ، وأَمَّا خَلْقُك؛ فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ نُورًا وَوَقَارًا عَلَى شَعْرِك. فَأَخْبَـرَ سَارَةَ بِمَا قَالَ لَهُ الْمَلَكُ وَقَالَ: هَذَا الَّذِي كَرِهْتِيهِ نُورٌ وَوَقَارٌ. قَالَتْ: فَإِنِّي كَارِهَةٌ لَهُ. قَالَ لَكِنِّي أُحِبُّهُ، اللَّهُمَّ زِدْنِي وَقَارًا وَنُورًا. فَأَصْبَحَ وَقَدْ ابْيَضَّتْ لِحْيَتُهُ كُلُّهَا». أهـ.

«وقوله: (وأول الناس رأى الشيب؛ فقال: يا رب ما هذا؟)».

يحتـمل أن يريد - والله أعلم -: أنه لم يكن قبله شـيب حتى رآه إبراهيم عليه السلام أول من رآه.

ويحتمل: أن يكون الشيب مـعتادًا علـى حسب ما هو اليـوم، ولكن كان إبراهيم أول من قال هذا القول عند رؤيته، والأول أظهر؛ لأنه لو كان الشيب معتـادًا قد رآه إبراهيم لجميع الناس قـبله ما أنكره وقال: يا رب ما هذا، ولو سأل عن وقوعه به مع مـعرفته بمعناه كما رآه لغيـره؛ لم يفسره له بأنه وقار، ولقيل له هو الشـيب الذي رأيته لمن بلغ بسنك، ولكان هو قـد علم أن معناه الوقار، ولم يـحتج أن يدعو الله ـ تـبارك وتعالى ـ أن يزيده مـن الوقار حين علم معناه.

وقوله ﷺ: قال الله عز وجل: وقار يا إبراهيم. أخــبر مــا رآه منه معناه الوقار، فسأله علــيه السلام الزيادة منه؛ إذ قد علم أن الوقار محــمود، مأمور به، من هدي الصالحين ولعله أراد أن يزيده من الشيب الذي هو الوقار، والله أعلم»[1].



(١) "المنتقى شرح الموطأ".

الفصــل الرابــع

أحكام الشيب

وللشيب أحكام في الشريعة الغراء، نذكر منها:

١ ـ حكم نتف الشيب:

* عن ابن عمـر رضي الله تعالى عنهمـا، أن النبي ﷺ قال: «لا تنتفوا الشـيب؛ مـا من مسلم يشـيب شـيبة في الإسـلام، إلا كـانت له نورًا يوم القيامة»[١] .

* وعَنْ قَـتَادَةَ، عَنْ أَنَـسِ بْنِ مَالِكٍ قَـالَ: يُكْرَهُ أَنْ يَنْتِفَ الرَّجُلُ الـشَّعْـرَةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ رَأْسِـهِ وَلِحْيَتِهِ. قَالَ: وَلَمْ يَخْتَضِبْ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ ، إِنَّمَا كَانَ الْبَيَاضُ فِي عَنْفَقَتِهِ، وَفِي الصُّدْغَيْنِ، وَفِي الرَّأْسِ نَبْذٌ[٢] .

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في «شرح صحيح مسلم»":

«قوله: (عن أنس ﷺ قال: يُكره أن ينتف الرجل الشعرة البيضاء من رأسه ولحيته): هذا متفق عليـه. قال أصحابنا وأصـحاب مالك: يكره ولا يحرم». أهـ.

---

(١) **حديث صحيح:** أخرجه أبو داود في "سننه". وانظر "صحيح الجامع الصغير".
(٢) أخرجه مسلم في "كتاب الفضائل" "باب شيبه".

وقال في «المجموع شرح المهذب»:

« يُكره نتف الشيب؛ لحديث عمـرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: «لا تنتـفوا الشيب فـإنه نور المسلم يوم القـيامـة». حديث حسن. رواه أبو داود، والترمـذي، والنسائي، وغيرهم بأسانيـد حسنة. قال الترمذي: حسن.

هكذا قال أصحـابنا يُكره، صرح به الغزالي كما سبق والـبغوي وآخرون، ولو قيل: يُحرم للـنهي الصريح الصـحيح: لم يبعـد، ولا فرق بين نتـفه من اللحية والرأس». أهـ.

وفي الفواكه الدواني:

«لم يتكلم المصنف على نتف الشـيب من اللحية، وقال مـالك حين سئل عنه: لا أعلمه حـرامًا، وتركه أحب إلي، أي إزالتـه مكروهة على الصواب، كما يكره تخـفيف اللحية والشارب بالموسى تحسـينا وتزيينا، وإن قصد بذلك التلبيس على النساء كان أشد في النهي». أهـ.

وقال ابن قدامة ـ رحمه الله تعالى ـ في «المغني»:

«وَيُكْرَهُ نَتْفُ الشَّيْـبِ؛ لِمَا رَوَى عَمْـرُو بْنُ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيـهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَتْفِ الشَّيْبِ، وَقَالَ: إنَّهُ نُورُ الْإِسْلَامِ».

وقال العلامة الشربيني ـ رحمه الله تعالى ـ في «مغني المحتاج»:

«وَيُكْرَهُ نَتْفُ الشَّيْبِ مِنْ الْمَحَلِّ الَّذِي لا يُطْلَبُ مِنْهُ إزَالَةُ شَعْرِهِ». أهـ.

وفي «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ـ رحمه الله تعالى ـ:

«وسئل: عن رجل جندي يقلع بياض لحيته، فهل عليه في ذلك إثم أم لا؟

فأجاب: الحمد لله رب العالمين.. نتف الشيب مكروه للجندي وغيره؛ فإن في الحديث: أن النبي نهى عن نتف الشيب وقال: إنه نور المسلم». أهـ.

وقال السندي ـ رحمه الله تعالى ـ في «شرح سنن ابن ماجة»:

«قوله (هو نور المؤمن): أي فلا ينبـغي أن يزيله، بخلاف الخضـاب؛ فإنه ستر له لا إزالة، فهو جائز». أهـ.



٢ـ حكم خضاب (صبغ) الشيب:

أ ـ وأما حكم تغيير الشيب بالخضاب، فإن أئمة العلم على استحبابه:

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**غَيِّرُوا الشَّيْبَ، وَلا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ**»(١).

*وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**غَيِّرُوا الشَّيْبَ، وَلا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلا بِالنَّصَارَى**»(٢).

*عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدالرَّحْمَنِ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ**»(٣).

*وعن عتبة رضي الله تعالى عنه قال: كان ـ ﷺ :ـ يأمر بتغيير الشعر مخالفة للأعاجم.(*)

* قال الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله تعالى ـ في «الفتح»:

«يقتضي مشروعية الصبغ، والمراد به صبغ شيب اللحية والرأس، ولا يعارضه ما ورد من النهي عن إزالة الشيب؛ لأن الصبغ لا يقتضي الإزالة». أهـ.

---

(١) **حديث صحيح:** أخرجه الترمذي، والنسائي، وأحمد، وانظر "صحيح الجامع".

(٢) **حديث صحيح:** أخرجه أحمد، وانظر "صحيح الجامع".

(٣) **حديث صحيح:** أخرجه البخاري في "كتاب أحاديث الأنبياء" "باب ما ذُكر عن بني إسرائيل". وفي "كتاب اللباس" "باب الخضاب". ومسلم في "كتاب اللباس والزينة" "باب في مخالفة اليهود في الصبغ". وأصحاب السنن، وأحمد.

(*)**حديث حسن:** أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير"، وانظر "صحيح الجامع".

* وقال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في «شرح صحيح مسلم»:

«وقال القاضي: اختلف السلف من الصحابة والتابعين في الخضاب وفي جنسه:

فقال بعضهم: ترك الخضاب أفضل. ورووا حديثًا عن النبي ﷺ في النهي عن تغيير الشيب؛ لأنه ﷺ لم يغير شيبه. روي هذا عن عمر وعلي وأُبي وآخرين رضي الله عنهم.

وقال آخرون: الخضاب أفضل، وخضب جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم؛ للأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره.

ثم اختلف هؤلاء، فكان أكثرهم يخضب بالصفرة: منهم ابن عمر وأبو هريرة وآخرون، وروي ذلك عن علي. وخضب جماعة منهم بالحناء والكتم، وبعضهم بالزعفران، وخضب جماعة بالسواد، روي ذلك عن عثمان والحسن والحسين ابني علي وعقبة بن عامر وابن سيرين وأبي بردة وآخرين.

قال القاضي: قال الطبراني: الصواب أن الآثار المروية عن النبي ﷺ بتغيير الشيب، وبالنهي عنه، كلها صحيحة، وليس فيها تناقض، بل الأمر بالتغيير لمن شيبه كشيب أبي قحافة، والنهي لمن له شمط فقط.

قال: واختلاف السلف في فعل الأمرين بحسب اختلاف أحوالهم في ذلك، مع أن الأمر والنهي في ذلك ليس للوجوب بالإجماع، ولهذا لم ينكر بعضهم على بعض خلافه في ذلك.

قال: ولا يجوز أن يقال: فيهما ناسخ ومنسوخ. قال القاضي، وقال غيره: هو على حالين، فمن كان في موضع عادة أهل الصبغ أو تركه فخروجه عن

العادة شهرة ومكروه. والثاني أنه يختلف باختلاف نظافة الشيب، فمن كانت شيبته تكون نقية أحسن منها مصبوغة: فالترك أولى. ومن كانت شيبته تستبشع فالصبغ أولى. هذا ما نقله القاضي.

والأصح الأوفق للسنة ما قدمناه عن مذهبنا. والله أعلم».

وفي «عون المعبود شرح سنن أبي داود»:

«والحـديث يدل على أن العلة في شـرعـية الخـضـاب هي مخـالفـة أهل الكتاب، وبهذا يتأكـد استحباب الخضاب، وقـد كان رسول الله ﷺ يبالغ في مخالفتهم ويأمر بها، وهذه السنة قـد كثر اشتغال السلف بها، ولهذا ترى المؤرخين في التراجم لهم يقولون وكان يخصب». أهـ.

*وقال ابن قدامة ـ رحمه الله تعالى ـ في «المغني»:

وَيُسْتَحَبُّ خِضَابُ الشَّيْبِ بِغَيْرِ السَّوَادِ، قَالَ أَحْمَدُ: إنِّي لأَرَى الشَّيْخَ الْمَخْضُوبَ فَأَفْرَحُ بِهِ. وَذَاكَرَ رَجُلا، فَقَالَ: لِمَ لَا تَخْتَضِبُ؟ فَقَالَ: أَسْتَحِي. قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ الْمَرُّوذِيُّ: قُلْت: يُحْكَى عَنْ بِشْرِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ دَاوُد: خَضَّبْت؟ قُلْت: أَنَا لا أَتَفَرَّغُ لِغَسْلِهَا، فَكَيْفَ أَتَفَرَّغُ لِخِضَابِهَا؟ فَقَالَ: أَنَا أُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ بِشْرٌ كَشَفَ عَمَلَهُ لابْنِ دَاوُد. ثُمَّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "غَيِّرُوا الشَّيْبَ". وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ خَضَبَا، وَالْمُهَاجِرُونَ، فَهَؤُلاءِ لَمْ يَتَفَرَّغُوا لِغَسْلِهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَمَرَ بِالْخِضَابِ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَيْسَ مِنْ الدِّينِ فِي شَيْءٍ. وَحَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ، وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَحَدِيثُ أَبِي رِمْثَةَ، وَحَدِيثُ أُمِّ سَلَمَةَ". أهـ.

وقال السفاريني ـ رحمه الله تعالى ـ في «غذاء الألباب شرح منظومة الآداب»:

«وَيُسَنُّ تَغْيِيرُ الشَّيْبِ نَصَّ عَلَيْهِ،[1] وَقِيلَ: مَا يَسْتَحْيِي أَنْ يُخَضِّبَ؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ وَإِنِّي لأَرَى الشَّيْخَ الْمَخْضُوبَ فَأَفْرَحُ بِهِ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: "إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ" . أهـ.

وقال العلامة الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ في «السيل الجرار»:

«أما خضب الشيب فقد وردت به الأدلة الصحيحة، وورد ما يدل على تأكيد مشروعيته؛ كما في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم». وأخرج أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي من حديث أبي ذر: «إن أحسن ما غيرتم به هذا الشيب الحناء والكتم». والأحاديث في الباب كثيرة.

وقد كانت هذه السنة مشتهرة بين السلف؛ حتى كانوا يذكرون في ترجمة الرجل في الغالب أنه كان يخضب أو لا يخضب.

ولا ينافي مشروعية الخضب حديث: «لا تنتفوا الشيب فإنه نور المسلم». كما أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجة وصححه الترمذي وابن حبان؛ فإن تعليل المنع بكونه نور المسلم على عدم جواز خضبه فإن نوره بعد خضبه زائد على نوره قبل خضبه" . أهـ.

---

(١) أي الإمام أحمد.

ب ـ وأما ما يُستحب به التغيير:

* عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحْسَنَ مَا غُيِّرَ بِهِ الشَّيْبُ: الْحِنَّاءُ وَالْكَتَمُ»(١).

* وعَنْ أَنَسٍ خَادِمِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ ولَيْسَ فِي أَصْحَابِهِ أَشْمَطُ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ، فَغَلَفَهَا بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ.

* وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ وَسَّاجٍ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَكَانَ أَسَنَّ أَصْحَابِهِ أَبُو بَكْرٍ، فَغَلَفَهَا بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ؛ حَتَّى قَنَأَ لَوْنُهَا(٢).

* وعَنْ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَضَبَ؟ فَقَالَ: لَمْ يَبْلُغْ الْخِضَابَ؛ كَانَ فِي لِحْيَتِهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ. قَالَ قُلْتُ: لَهُ أَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَخْضِبُ؟ قَالَ فَقَالَ: نَعَمْ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ(٣).

* وعَنْ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: سُئِلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: هَلْ خَضَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَأَى مِنْ الشَّيْبِ إِلا. قَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ: كَأَنَّهُ يُقَلِّلُهُ. وَقَدْ خَضَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ(٤).

* وعن ثَابِتٍ قَالَ: سُئِلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ خِضَابِ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقَالَ: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَعُدَّ شَمَطَاتٍ كُنَّ فِي رَأْسِهِ فَعَلْتُ. وَقَالَ: لَمْ يَخْتَضِبْ، وَقَدْ

(١) **حديث صحيح:** أخرجه الإمام أحمد، وأصحاب السنن، وابن حبان، وانظر "صحيح الجامع".

(٢) البخاري في "كتاب المناقب" "باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة".

(٣) مسلم في "كتاب الفضائل" "باب شيبه".

(٤) مسلم في "كتاب الفضائل" "باب شيبه".

اخْتَضَبَ أَبُو بَكْرٍ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ، وَاخْتَضَبَ عُمَرُ بِالْحِنَّاءِ بَحْتًا[١]. أي خالصًا لم يخلطه بشيء.

* وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ مَوْهَبٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ. قَالَ: فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ شَعَرًا مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَخْضُوبًا بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ[٢].

* وعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ عُبَيْدَ بْنَ جُرَيْجٍ سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ قَالَ: رَأَيْتُكَ تُصَفِّرُ لِحْيَتَكَ بِالْوَرْسِ. فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: أَمَّا تَصْفِيرِي لِحْيَتِي؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَفِّرُ لِحْيَتَهُ[٣].

* وعَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَلْبَسُ النِّعَالَ السِّبْتِيَّةَ، وَيُصَفِّرُ لِحْيَتَهُ بِالْوَرْسِ وَالزَّعْفَرَانِ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَفْعَلُ ذَلِكَ[٤].

أفادت هذه الأحاديث فوائد، منها:

١ـ استحباب تغيير الشيب وخضابه بالحناء والكتم، أو بالورس والزعفران.

٢ـ أن هذا كان من فعل النبي ﷺ.

٣ـ أن هذا كان أيضًا من فعل أبي بكر، وعمر، وابن عمر.

والحناء معروف.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في «شرح صحيح مسلم»:

«والْكَتَم: بفتح الكاف والمثناة الخفيفة وحكي تثقيلها: ورق يخضب به

---

(١) مسلم في "كتاب الفضائل" "باب شيبه".

(٢) **صحيح:** أخرجه ابن ماجة، والإمام أحمد.

(٣) **صحيح:** أخرجه ابن ماجة في سننه، وانظر "صحيح سنن ابن ماجة".

(٤) **صحيح:** أخرجه النسائي في سننه، وانظر "صحيح سنن النسائي".

كالآس، من نبات ينبت في أصغر الصخور فيتدلى خيطانًا لطافًا، ومجتناه صعب؛ ولذلك هو قليل. وقيل: إنه يخلط بالوشمة. وقيل: إنه الوشمة. وقيل: هو النيل. وقيل: هو حناء قريش، وصبغه أصفر".

وقال أيضًا:

«وأما (الْكَتَم): فبفتح الكاف والتاء المثناة من فوق المخففة، هذا هو المشهور. وقال أبو عبيدة: هو بتشديد التاء، وحكاه غيره. وهو نبات يصبغ به الشعر، يكثر بياضه أو حمرته إلى الدهمة». أهـ.

قال الحافظ في «الفتح»:

«والْوَرْسُ: بفتح الواو وسكون الراء بعدها مهملة: نبت أصفر طيب الريح يُصبغ به». أهـ.

ج ـ وأما حكم الخضاب بالأسود:

فقد بَيَّنَ أهل العلم فيه ما استنبطوه من الأحاديث، وأنهم قد فصلوا القول فيه.

*عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَكُونُ قَوْمٌ يَخْضِبُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالسَّوَادِ، كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ، لا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ"(١).

*عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "غَيِّرُوا الشَّيْبَ، وَلا تُقَرِّبُوهُ السَّوَادَ"(٢).

---

(١) **حديث صحيح:** أخرجه أبو داود، والنسائي، وانظر "صحيح الجامع".

(٢) **حديث صحيح:** أخرجه أحمد في "المسند" وانظر "صحيح الجامع".

* عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّه قَالَ: أُتِيَ بِأَبِي قُحَافَةَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَرَأْسُهُ وَلِحْيَتُهُ كَالثَّغَامَةِ بَيَاضًا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غَيِّرُوا هَذَا بِشَيْءٍ، وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ»(١).

* قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - في «شرح صحيح مسلم»:

«أما الثغامة: بثاء مثلثة مفتوحة، ثم غين معجمة مخففة، قال أبو عبيد: هو نبت أبيض الزهر والثمر، شبه بياض الشيب به. وقال ابن الأعرابي: شجرة تبيض كأنها الملح.

وأما أبو قحافة: بضم القاف، وتخفيف الحاء المهملة، واسمه عثمان: فهو والد أبي بكر الصديق، أسلم يوم فتح مكة.

ومذهبنا: استحباب خضاب الشيب للرجل والمرأة بصفرة أو حمرة، ويحرم خضابه بالسواد على الأصح. وقيل: يكره كراهة تنزيه. والمختار التحريم؛ لقوله ﷺ: (واجتنبوا السواد) هذا مذهبنا". أهـ.

*وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في «زاد المعاد»:

«فان قيل: قد ثبت في صحيح مسلم النهى عن الخضاب بالسواد، في شأن أبى قحافة لما أُتى به ورأسه ولحيته كالثغامة بياضًا؛ فقال: «غيروا هذا الشيب وجنبوه السواد». والكتم يسود الشعر؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن النهى عن التسويد البحت، فأما إذا أُضيف إلي الحناء شيء

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم في "كتاب اللباس والزينة" "باب استحباب خضاب الشيب بصفرة أو حمرة".

آخر كالكتم ونحـوه فلا بأس به؛ فإن الكتم والحناء يجعل الشعـر بين الأحمر والأسود، بخلاف الوسمة؛ فإنها تجعله أسود فاحمًا، وهذا أصح الجوابين.

الجواب الثاني: أن الخضاب بالسواد المنهى عنه: خضاب التدليس، كخضاب شعر الجارية، والمرأة الكـبيرة تغر الزوج والسيد بذلك، وخضـاب الشيخ يغر المرأة بذلك، فإنه من الغش والخداع، فأما إذا لم يتـضمن تدليسًا ولا خداعًا: فقد صح عن الحسن والحـسين رضى الله عنهما أنهما كانا يخـضبان بالسواد، ذكر ذلك ابن جرير عنهـما فى كتاب "تهذيب الآثار" وذكره عن عـثمان بن عفان وعـبدالله بن جعفر وسعـد بن أبى وقاص وعقبة ابن عامـر والمغيرة بن شعبة وجرير بن عبدالله وعمرو بن العاص رضى الله عنهم أجمعين، وحكاه عن جماعة من التابعين منهم: عمر بن عثمان وعلى بن عبدالله بن عباس وأبو سلمة بن عـبدالرحمن وعبـدالرحمن بن الأسود ومـوسى بن طلحة والزهرى وأيوب وإسـماعـيل بن مـعد يكرب رضى الله عنـهم أجمـعين، وحكاه ابن الجوزى عن مـحارب بن دثار ويزيد وابـن جريج وأبى يوسف وأبى إسـحاق وابن أبى ليلى وزياد بن علاقة وغـيلان بن جامع ونافع بن جبيـر وعمرو بن على المقدمى والقاسم بن سلام رضى الله عنهم أجمعين». أهـ.

* وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في «حاشيته»:

«الذي نهى عنه النبي ﷺ من تغيير الشيب أمران:

أحدهما: نتفة.

والثاني: خضابه بالسواد كما تقدم.

والذي أذن فيه هو صبغة وتغييـره بغير السواد كالحناء والصفرة، وهو الذي

عمله الصـحابة ﭫ . قال الحكم بن عمـرو الغفاري: دخلت أنا وأخي رافع على عمـر بن الخطاب، وأنا مخضوب بـالحناء، وأخي مخضوب بالصـفرة؛ فقال عمر: هذا خضاب الإسلام. وقال لأخي: هذا خضاب الإيمان.

وأما الخضاب بالسواد:

فكرهه جـماعـة من أهل العلم، وهو الصواب بلا ريب؛ لما تقـدم، وقيل للإمام أحمد: تكره الخضاب بالسواد؟ قال: أي والله. وهذه المسألة من المسائل التي حلف عليهـا، وقد جمعهـا أبو الحسن؛ ولأنه يتضمن التلـبيس بخلاف الصفرة.

ورخص فيه آخرون، منهم أصحاب أبي حنيفة، وروى ذلك عن الحسن، والحسين، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن جـعفر، وعقبة بن عامر، وفي ثبوته عنهم نظر، ولو ثبت: فلا قول لأحد مع رسول الله ﷺ ، وسنته أحق بالاتباع ولو خالفها من خالفها.

ورخص فـيـه آخرون للـمرأة تتـزين به لبـعلهـا، دون الرجل، وهذا قول إسحاق بن راهويه وكأنه رأى أن النهي إنما في حق الرجـال، وقد جوز للمرأة من خضاب اليدين والرجلين ما لم يجوز للرجل، والله أعلم». أهـ.

* **وقال ابن قدامة ـ رحمه الله تعالى ـ في «المغني»:**

«وَيُكْرَهُ الْخِضَابُ بِالسَّوَادِ، وَرَخَّصَ فِيـهِ إسْحَاقُ بْنُ رَاهْوَيْه لِلْمَرْأَة تَتَزَيَّنُ بِهِ لِزَوْجِهَا». أهـ.

* **وقال الحافظ في «الفتح»:**

«وقد تمسك به من أجاز الخضاب بالسواد ـ وقد تقدمت في باب ذكر بني إسرائيل من أحـاديث الأنبياء ـ مسألة اسـتثناء الخضب بالسواد لحـديثي جابر

وابن عبـاس، وأن من العلماء من رخص فيه في الجـهاد، ومنهم من رخص فيـه مطلقًا، وأن الأولى كراهتـه، وجنح النووي إلى أنه كراهة تحـريم، وقد رخص فيـه طائفة من السلف، منهم: سعد بـن أبي وقاص وعقبة بـن عامر والحسن والحـسين وجرير وغيـر واحد، واختـاره ابن أبي عاصم في "كـتاب الخضاب" له، وأجـاب عن حديث ابن عبـاس رفعه: "يكون قوم يخـضبون بالسواد لا يجدون ريح الجنة": بأنه لا دلالة فيه على كراهة الخضاب بالسواد، بل فيه الإخبار عن قوم هذه صفتهم. وعن حديث جابر: "جنبوه السواد" بأنه في حق من صار شيب رأسه مستبشعًا، ولا يطرد ذلك في حق كل أحد. . . انتهى.

وما قاله خلاف ما يتبادر من سيـاق الحديثين. نعم يشهد له ما أخرجه هو عن ابن شهـاب قال «كنا نخضب بالسـواد إذ كان الوجه جـديدًا، فلا نغص الوجه والأسنان تركناه» وقد أخرج الطـبراني وابن أبي عاصم من حديث أبي الدرداء رفعه «من خـضب بالسواد سود الله وجهه يوم القـيامة» وسنده لين، ومنهم من فرق في ذلك بين الرجـل والمرأة فأجازه لها دون الرجل، واخـتاره الحليمي». أهـ.

*وقال الماوردي ـ رحمه الله تعالى ـ في «الأحكام السلطانية»:

«وَيَمْنَعُ ــ أي الْمُحْتَسِبُ ــ مِنْ خِضَابِ الشَّيْبِ بِالسَّوَادِ، إلا لِلْمُجَاهَدَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيُؤَدِّبُ مَنْ يَصْبُغُ بِهِ لِلنِّسَاءِ، وَلا يَمْتَنِعُ مِنْ الْخِضَابِ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ». أهـ.



الفصـــل الخامـــس

أسبـاب الشيب

اعلم: أن الشيب ليس من كسب العبد، بل هو مما خارج عن إرادته.

والشيب قد يكون سببه:

دينيًـا؛ وذلك كـما حـدث مع النبيﷺ؛ فـإنه قـال: «**شـيـبـتني هودٌ وأخواتُها**». وقد مرَّ بيان ذلك وإيضاحه في الفصل السابق.

وقد يكون سببه:

ليس دينيًا، أي لأي عارضٍ أو طاريءٍ يطرأ على من شَابَ، ومن ذلك:

* أن يكون لنحو فزع وهلع.
* أو يكون لسبب هموم وأحزان.
* أو يكون بسبب مرض أصابه، نشأ عنه الشيب.
* وقد يكون بسبب وِرَاثي.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في «التبيان في أقسام القرآن»:

«**فإن قيل**: فما سبب البياض؟

قيل: البياض نوعان:

أحدهما: طبيعي، وهو الشيب.

والثاني: خارج عن الطبيعة، وهو ما يوجد في أواخر الأمراض المجففة بسبب تحلل الرطوبات، كما يعرض للنبات عند الجفاف.

فإن قيل: فما سبب الطبيعي؟

قيل: اختُلف في ذلك؛ فقالت طائفة: سببه الاستحالة إلى لون البلغم؛ بسبب ضعف الحرارة في أبدان الشيوخ. وقالت طائفة: سببه أن الغذاء الصائر إلى الشعر يصير باردًا؛ بسبب نقصان الحرارة، ويكون بطيء الحركة مدة نفوذه إلى المسام. وجمعت طائفة بين القولين وقالوا: العلة في الأمرين واحدة، وسببها نقصان الحرارة.

فإن قيل: فلم اختص الشيب بالإنسان من بين سائر الحيوان؟

قيل: لأن لحم الإنسان وجلده رخوين، وجلود الحيوانات ولحومها أقوى وأصلب، فلما غلظت مادة الشعر فيها؛ لم يعرض له ما يعرض لشعر الإنسان؛ ولهذا يكون شعرها كلها معها من حين ولادتها بخلاف الإنسان، وأيضًا فإن الإنسان يستعمل المطاعم المركبة المتنوعة، وكذا المشارب، ويتناول أكثر من حاجته؛ فتجتمع فيه فضلات كثيرة، فتدفعها الطبيعة إلى ظاهر البدن، فما دامت الحرارة قوية، فإنه تقوى على إحراق تلك الفضلات؛ فيتولد من إحراقها الشعر الأسود، فإذا بلغ الشيخوخة ضعفت الحرارة وعجزت عن إحراق تلك الفضلات، فتعمل فيها عملا ضعيفًا، وأما سائر الحيوانات فلا تتناول الأغذية المركبة، وتتناول منها على قدر الحاجة؛ فلا يشيب شعرها كما يشيب شعر الإنسان، وأيضًا فإن في زمن الشيخوخة يكون أقل حرارة وأكثر رطوبة؛ فيتولد البلغم، وأما الحيوانات فليس غالب عليها.

فإن قيل: فَلِمَ كان شيب الأصداغ في الأكثر مقدما على غيره؟

قيل: لقــرب هذا الموضع من مقــدم الدماغ، والرطوبة في مــقدم الــدماغ كثيرة؛ لأن الموضع مفــصل، والمفصل تجتمع فيه الفضلة الكثــيرة، فيكثر البرد هناك؛ فيسرع الشيب.

فإن قيل: فلم أسرع الشيب في شعور الخصيان والنساء؟

قيل: أما النساء: فلبرد مزاجــهن في الأصل، ولاجتماع الفضــلات الكثيرة فيهن. وأما الخصيان: فلتوافر المني على أبدانهم؛ يصيــر دمهم غليظًا بلغميًا، ولهذا لا يحدث الصلع.

فإن قيل: فلم كان شعر الإبط لا يبيض؟

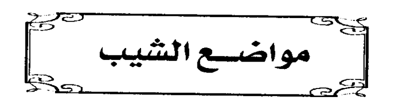
قيل: لقوة حــرارة هذا الموضع بســبب قربة من القلب، ومــسامــه كثــيرة بلغمية، لأنها تتحلل بالعرق الدائم.

فإن قيل: فلم أبطأ بياض شعر العانة؟

قيل: لأن حركة الجماع تحلل البلغم الذي في مسامه". أهـ.



الفصــل الســادس



مواضــع الشيب

اعلم : أن الشيب موضعه في الإنسان في شعره، ويكون في:

* الرأس. . وقد يكون في كُلِّ الرأس، وقد يكون في بعضه وليس كله.

* كما أنه قد يكون في الحاجبين.

* ويكون في الشارب.

* ويكون في اللحية.

* ويكون في العنفقة، وهي ما تحت الشفة السفلى.



الفصـل السابـــع

وقت الشيب

للشيب في وقته أصل.

فأصل وقته: الشيخوخة، وعند الهَرَمِ، أي كِبَرُ السِّنِّ.

ولكنه قد يكون في بعض الناس مُبَكِرًا، فيكون في صِغَرِ السن والشباب.

قال ابن الرومي:

قد يشيبُ الفتى وليس عجيبًا * * أنْ يُرَى النورُ في القضيبِ الرطيبِ

* * *

مَطْلَبٌ في: الشيب في الطِّبِ:

"ظهور الشيب عملية فسيولوجية؛ تحدث عادة عند التقدم في العمر؛ وذلك عندما لا تستطيع الخلايا الملونة التي تفرز مادة الميلانين، (والتي تعطي الشعرة اللون) الاستمرار في نشاطها؛ إذ تفقد الشعرة لونها وتصبح بيضاء، وهذا ما يسمى "بالشيب".

إن ظهور الشيب على شعر الرأس أو الوجه لا يعني مطلقاً التقدم بالسن؛ فقد يظهر قبل البلوغ أو بعد ذلك؛ نتيجة ظروف معينة، كما أن الاستعداد الشخصي والعوامل النفسية والوراثية لهما أثر مهم في ظهور الشيب المبكر، ويجب الإشارة بأن بعض حالات الشيب المبكر تكون مؤقتة، إذ قد تعاود

الخلايا الملونة نشاطها مرة أخرى، خاصة بعد زوال المؤثر، وبالتالي يعود لون الشعر إلى وضعه العادي ويحدث هذا أحياناً في أمراض الحميات ومرض الثعلبة، أما إذا كان المؤثر على الخلايا الأم (الكيراتينوسايتس) التي تنتج الخلايا الملونة، فإن فرصة إعادة تلوين الشعر مرة أخرى تكاد تكون معدومة؛ إذ تستمر الشعرة فاقدة لونها.

يبدأ ظهور الشيب بعد العقد الرابع عادة في الجنسين، وقد يحدث مبكراً كما هو الحال في بعض الأجناس المختلفة، مثل الزنوج والجنس القوقازي.

يظهر الشعر الأبيض تدريجياً على شعر الفروة، إذ يبدأ على المناطق الجانبية والسوالف، ثم يمتد إلى مقدمة الشعر، وبالتالي إلى المؤخرة، ثم إلى شعر اللحية والشارب، وفي بعض الأحيان يبدأ الشعر الأبيض على اللحية والشارب قبل ظهوره على شعر فروة الرأس.

هناك عوامل كثيرة تؤدي إلى ظهور الشعر الأبيض منها:

التقدم بالسن: وهي عملية فسيولوجية كما ذكرت سابقًا؛ إذ تجهد الخلايا الملونة وبالتالي تفقد نشاطها، ولا تستطيع أن تزود الشعر باللون الطبيعي.

عامل وراثي: يحدث الشيب في سن مبكرة، وغالبًا ما يظهر على مقدمة الفروة، وقد يصاحبه بقع فاتحة اللون بالجلد.

التوترات النفسية والعصبية: إن لهذه العوامل أثرًا هامًا في ظهور بعض الشعرات البيضاء بين شعر فروة الرأس، ورغم أن هذا التأثير محدودًا على الشعر، إلا أنه في حالات نادرة قد يظهر شعر الشيب فجأة، ليشمل معظم شعر الرأس كما هو الحال عند التعرض للصدمات العصبية الحادة، أو الخوف الشديد، وتفسير هذه الظاهرة: لأن تلك المؤثرات تؤدي فعلاً إلى ظهور الشعر

الأبيض نتيجة توقف نشاط الخلايا الملونة، وتسبب كذلك تساقط الشعر الملون بنسبة كبيـرة، حيث يظهر بعدها الشعر الأبيض متفـوقًا في العدد على الشعر الملون، وإذا استمر تأثير تلك العوامل: فإن ما يتبقى من الـشعر الملون يتحول إلى شعر أبيض، وبهذا يبدو شعر الرأس أبيض اللون.

الهرمونات: لها أثر مهم كـذلك على سرعة ظهور الشيب، كـما هو الحال عند نقص إفـرازات الغدة النخامـية التي تنشط إفـرازاتها الخلايـا الملونة، فإذا نقص إفرازات تلك الغدة: فإن الشعر فاقـد اللون، كما أن نقص في إفرازات الغدة الدرقية يؤدي إلى ظهور الشعر الأبيض كذلك.

مرض الشـعلبة: وهو التسـاقط الموضعي للشعر، إذ تظهـر بمناطق من فروة الرأس خالية من الشـعر؛ نتيجة عوامل مخـتلفة، وعندما تستعيـد البصيلات نشاطها فـقد يحدث أحيـاناً أن تبقى الخلايا الملونة خاملة، ولا تعـطي الشعر اللون الطبيعي، لهذا يظهر الشعر الذي نما في تلك المنطقة غير ملون.

مرض البـهاق: يحدث مـرض البهـاق عندما تفـقد الخـلايا الملونة بالجلد مقدرتهـا على إفراز المادة الملونة؛ وبهذا تظهر مناطق من الجـلد بيضاء اللون، وهو ما يسمى "بمرض البهـاق". وإذ حدث نفس المؤثر على فروة الرأس فإن الشعر يفقد لونه الطبيعي كذلك ويصبح أبيض اللون.

المؤثرات الفيزيائية: التعرض للحرارة الشديدة، أو التعـرض المستمر لأشعة السينية قد يؤدي إلى ظهور الشعر الأبيض.

نمو الشعـر تحت الجلد: ينمـو الشعـر في الأحـوال العادية داخل جـراب الشعـرة، ثم يخرج على سـطح الجلد من المسامـات التي تعلوها، ولكن في بعض الأحوال يستـمر نمو الشعر تحت الجلد، ويخـرج بعد ذلك إلى السطح

من مسام مجاور، وقد تظهر الشعرة النامية متجعدة تحت سطح الجلد، تحدث هذه الحالة عادة في شعر الذقن وشعر الرقبة، خاصة بين ذوي الشعر المتجعد، أو حالات الأكزيما الدهنية. والسبب الحقيقي لهذه الظاهرة غير معروف تمامًا، ولكن قد يكون للجنس ونوع البشرة والتعرض للإصابات وطريقة الحلاقة من أسفل إلى أعلى أثر على ذلك.

قد يتبع نمو الشعر تحت الجلد التهابات في مناطق نمو الشعر عند اختراقها لسطح الجلد، خاصة بين ذوي البشرة الدهنية، فقد تستمر تلك الالتهابات لفترة طويلة وتسبب كثيرًا من الضيق، خاصة وأن مدى الاستجابة للعلاج يكون محدودًا، لذا يلزم أحيانًا نزع تلك الشعرات من تحت الجلد»[١].



(١) دكتور ضيف الله العنزي. طبيب جلدية. نقلاً من موقع (طبيبك) على شبكة الإنترنت.

الفصل الثامـن

مواعظ الشيب

* «وعظ أعرابى أخـا له أفسد ماله في الشـراب؛ فقال: لا الدهر يعظك، ولا الأيام تنذرك، ولا الشيب يزجـرك، والساعات تحـصى عليك، والأنفاس تُعَدُّ منك، والمنايا تقاد إليك، أحب الأمور إليك أعودها بالمضرة عليك»(١).

* «يا من يعظه الدهر ولا يقبل.. وينذره القهر بمن يرحل.. ويضم العيب إلى الشيب.. وبئس ما يفعل.. كن كيف شئت؛ فإنما تجازي بما تعمل»(٢).

* «يا من عـمـره يقد بالـساعـات، ويعـد بالأنفـاس، يا خل الأمل خل أحـاديث الوسواس، يا طويـل الرقاد إلى كم ذا النعـاس، قـد بقي القليل لا ريب وهذا الشـيب يقـلع الأغـراس، إن في المقـابر عـبـرًا، ومـا أدراك مـا الأدراس، تالله لو سكن اليقين القلب لضربت أخـماسا في أسداس، هل تجد لماضي العمر لذة، والباقي على القياس» (٣).

* «يا هذا: الشيب أذان.. والموت إقامة.. ولست على طهارة.

العمر صلاة.. والشيب تسليم.. يا من قـد خيم حب الهوى في صحراء قلبه، أقلع الأطناب؛ فـقد ضرب بوق الرحيل، أما تسـمع صوت السوط في

(١) «جمهرة خطب العرب»

(٢) «المدهش». لابن الجوزي.

(٣) «المدهش». لابن الجوزي.

ظهور الإبل، أما ترى عجلة السلب وقصر العمر، شارف الركب بلد الإقامة فاستحث المطى، يا مشاهدة ما تمت بغيتها حتى وقع النهب فيها، إستلب منك لك قبل أن تُستلب الجملة، الأيام تسرع في تبذير مجموع صورتك، وأنت تسرع في تبذير معانيك.

يا شباب الجهل.. يا كهول التفريط.. يا شيوخ الغفلة: اجلسوا معنا ساعة في مأتم الأسف.

يا سحائب الأجفان: امطري على رباع الذنوب.. يا ضيف الندم على الإسراف: اسكن شغف القلوب.. يا أيام الشيب: إنما أنت بين داع ووداع، فهل لماض من الزمان ارتجاع»[1].

* « يا من شاب وما تاب ولا أصلح، يا معرضا إلى ما يؤذي عن الأصلح، ليت شعري بعد الشباب بماذا تفرح، ما أشنع الخطايا في الصبا وهي في الشيب أقبح، إذا نزل الشيب ولم يزل العيب فبعيد أن يبرح»[2].

* «طوبى للمتيقظين؛ إنهم لقدوة، علموا عيب الدنيا فما أمسكوا عروة، وأنت في حبها كقيس وعروة، أيحسن بعد الشيب لهو وصبوة»[3].

* « يا من يجمع العيب إلى الشيب ويضيف، لا الماء بارد ولا الكوز نضيف، إن إيثار ما يفنى على ما يبقى لمزيف لا ظريف، كم أتى خريف، وكم أناخ ريف، ويكفي من الكل كل يوم رغيف»[4].

* «يا معدودًا مع الشيب في الصبيان، يا محبوسًا مع البصراء في العميان،

(١) «المدهش». لابن الجوزي.
(٢) «المدهش». لابن الجوزي.
(٣) «المدهش». لابن الجوزي.
(٤) «المدهش». لابن الجوزي.

يا واقفًا في الماء وهو ظمآن، يا عارفًا بالطريق وهو حيران، أما وُعظت بآي القرآن، أما زجرت بنأي الأقران، أما تعتبر بصروف الزمان، أتعمر المنزل وعلى الرحيل السكان؟ أما يكفي وعظ كل من عليها فان، تسافر ببضائع الأمانة وما تنزل إلا في خان من خان، أفعالك كلها مكتوبة، فيا ليت ما كان ما كان، تدفن الميت ولا وعظ كالعيان، ثم تعود غافلا يا قرب ذا النسيان، ويحك أما تدري أن الهوى هوان، ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان، نُراع إذا الجنائز قابلتنا، ونسكن حين تخفى ذاهبات»[1].

* * *

ألم تستحي من وجه المشيب ... وقد ناداك بالوعظ المصيب

أراك تعد للآمال ذخرًا ... فما أعددت للأجل القريب

وقال المقنع الكندي:

نزل المشيب فأين تذهب بعده ... وقد ارعويت وحان منك رحيل

كان الشباب خفيفة أيامه ... والشيب محمله علي ثقيل

ليس العطاء من الفضول سماحة ... حتى تجود وما لديك قليل

وقال سحيم عبد بني الحسحاس:

عميرة ودع إن تجهزت غاديا كفى ... الشيب والاسلام للمرء ناهيا

وقال أبو نواس:

أيهُ نارٍ قَدَحَ القَادِحُ ... وأيُّ جد بلغ المازحُ

لله درُّ الشيبِ من واعظٍ ... وناصحٍ لو سُمِعَ الناصحُ

(١) «المدهش». لابن الجوزي.

يأبى الفتى إلا اتباعَ الهوى ومنهجُ الحقِّ له واضحُ
فاسمُ بعينيكَ إلى نسوةٍ مُهُورُهُنَّ العملُ الصالِحُ
لا يجتلي العذراءَ من خِدرِها إلا امرؤٌ ميزانهِ راجحُ
من اتقى الله فذاك الذي سيق إليه المتجرُ الرابحُ

* * *

يا حسرتا مر الصبا وانقضى وأقبل الشيبُ يقص الأثر
واخجلتا والرحيل قد قوضا وما بقي في الخبر غير الخبر
وليتني لو كنت فيما مضى أدخر الزاد لطول السفر(١)

* * *

ولأبي العتاهية:

بَلِيتَ وما تَبْلَى ثيابُ صِبَاكا كفاك من اللهو الْمُضرِّ كفاكا
ألم تر أن الشيبَ قد قام ناعيا مقام الشبابِ الغضِّ ثم نعاكا
تَسَمَّع ودع من أغلقَ الغَيُّ سَمْعَهُ كأني بداع قد أتى فدعاكا
ألا ليت شعري كيف أنت إذا القوى وهت وإذا الكربُ الشديدُ علاكا
تموت كما مات الذين نسيتهم وتُنسى وتَهوى العِرسُ بعدُ سواكا
تمنيتَ حتى نلتَ ثم تركتها تَنَقَّلُ بين الوارثين مناكا
إذا لم تكن في متجر البر والتقى خسرت نجاةً واكتسبت هلاكا
إذا أنت لم تعزم على الصبر للأذى رميتَ الذي منه الأذى ورماكا

(١) «نفح الطيب».

إذا كنت تبغي البرَّ فاكْفُف عن الأذى ... ومـا البـرُّ إلا أن تكـفَ أذاكـا

أخوك الذي من نفسه لك منصفٌ ... إذا المرءُ لم يُنصـفْك ليس أخـاكـا

ولأبي إسحاق الألبيري الغرناطي:

الشـيبُ نبـه ذا النهى فـتنبـهـا ... ونهى الجهولَ فما استفاق ولا انتهى

بل زاد نفسي رغبةً فتهافتت ... تبغي اللُّهى وكأن بها بين اللهـا

فإلى متى ألهـو وأُخدع بالمنى ... والشيـخُ أقبح ما يكون إذا لهـا

ما حسنه إلا التقى لا أن يُرى ... صَـبًّا بألحـاظ الجـآذر والمهـا

أنى يقـاتل وهو مفلول الظُبـا ... كـابي الجـوادِ إذا استـقل تأوها

مـحقَ الزمـانُ هلالَه فكأنما ... أبقى لـه منه على قـدر السُّهـا

فغـدا حسيرًا يشتهي أن يشتهى ... ولكم جرى طلقَ الجموحِ كما اشتهى

إنْ أَنَّ أواهٌ وأجـهش بالبكا ... لذنوبه ضحك الجهـولُ وقـهقـهـا

ليس تُـنَهْنِهُـهُ العظـاتُ ومثله ... في سِـنِّهِ قـد آن أن يتنـهنهـا

فـقـدَ اللَدات وزاد غـيًّـا بَعْـدَهُم ... هلا تيـقظ بعـدهم وتنبـهـا

يا ويحـهُ مـا بالُهُ لا ينتـهي ... عن غَـيِّـهِ والعمرُ منه قد انتهى

* * *

وقال صالح بن عبدالقدوس في قصيدته الزينبية:

صَرَمَتْ حِبَالَكَ بعد وصلِكَ زينبُ[1] ... والدهرُ فـيـه تَغَـيُّـرٌ وتـقلُّبُ

نشـرت ذوائبَـهَا التي تزهو بها ... سودًا ورأسُكَ كالثُّغَامةِ أشيبُ

---

(١) المقصود بزينب هاهنا: الكناية عن الدنيا، أو الفاتنات.

واسْـتَنْفَـرَتْ لَمَّـا رَأَتْـكَ وطالما كـانت تَـحِنُّ إلى لِقَـاك وتَرْغَبُ

وكـذاك وصلُ الـغـانيـات فـإنه آلٍ ببـلقَـعَـةٍ وبَرْقٌ خُـلَّبُ

فـدعِ الصِّبَا فلـقد عـدَاك زمـانُهُ وازهد فَـعُـمـرُك مَـرَّ مـنه الأطيبُ

ذهبَ الشـبابُ فـما له من عَـوْدَةٍ وأتى المشـيبُ فـأين منه المهـربُ

دعْ عنكَ ماقد فاتَ في زمنِ الصِّبا واذكـرْ ذُنُـوبَكَ وابكِهـا يا مُـذْنِبُ

واذكـر مناقـشـةَ الحسـابِ فـإنه لابُدَّ يُحـصى مـا جنْيتَ ويـكتُبُ

لم يَنْسَـهُ الملكانِ حينَ نسيـتَـهُ بل أثبـتـاه وأنتَ لاهٍ تلـعبُ

والروحُ فـيكَ وديعـةٌ أُودعـتَـهـا سَـتَـرُدُّهَا بـالرغمِ منك وتُـسْلَبُ

وغـرورُ دنيـاكَ التي تـسـعى لهـا دارٌ حـقـيـقـتُـهـا مـتَـاعٌ يَذْهَبُ

والليلُ فـاعلم والنهـارُ كِـلاهُمـا أنفـاسُـنا فـيـهـا تُعَـدُّ وتُحْـسَبُ

وجـمـيعُ ما خلَّفـتَـهُ وجـمعتَـهُ حـقًـا يقـينًـا بعـدَ مـوتِـكَ يُنهبُ

تبًـا لدارٍ لا يدومُ نعـيـمُـهـا ومـشـيـدُها عـمـا قلـيلٍ يَخْـرَبُ

فاسـمع هُديتَ نصيـحةً أَوْلاكَـهَا بَرٌّ نَـصُـوحٌ للأنامِ مُـجَـرِّبُ

صَحِبَ الزمـانَ وأهلَهُ مُسْـتَبْـصِرًا ورأى الأمـورَ بمـا تَؤبُ وتَعْـقُبُ

لا تَأْمَنِ الـدَّهْرَ الخَـؤونَ فـإنه مـا زال قِـدْمًـا للرجـالِ يُؤَدبُ

وعـواقبُ الأيـامِ في غَـصَّـاتِـهـا مَـضَـضٌ يُذَلُّ له الأعَـزُّ الأَنْجَبُ

فـعليك تقوى اللـهِ فالزمـها تَفُـزْ إنَّ التَّـقِـيَّ هُوَ الْبَـهِيُّ الأَهْـيَبُ

واعـمل بطاعـتِـهِ تَنَلْ منه الرِّضَـا إنَّ الْمُـطِيعَ لـه لديه مُـقَـرَّبُ

واقْنَعْ فـفي بعضِ القَنَاعـةِ رَاحَـةٌ واليَـأْسُ ممـا فـات فَـهْـوَ الْـمَطْلَبُ

فإذا طَمِعْتَ كُسيتَ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ ... فلقد كُسي ثَوْبَ الْمَذَلَّة أَشْعَبُ
وتَوَقَّ منْ غَدْرِ النِّسَاءِ خِيَانَةً ... فَجَمِيعُهُنَّ مَكَايِدٌ لَكَ تُنْصَبُ
لا تأمَنِ الأنثى حياتَك إنها ... كالأُفْعُوانِ يُرَاغُ منه الأنيبُ
لا تَأْمَنِ الأنثى زمانَكَ كُلَّهُ ... يومًا ولو حَلَفَت يمينًا تَكْذبُ
تُغْرِي بلينِ حديثِهَا وكَلاَمِهَا ... وإذا سَطَتْ فهيَ الصَّقيلُ الأشْطَبُ
وابدأ عدوَّكَ بالتَّحيَّةِ ولْتَكُنْ ... منهُ زمانَكَ خائفًا تَتَرَقَّبُ
واحذَرْهُ يومًا إنْ لاَقيتَه مُتَبَسِّمًا ... فالليثُ يبدو نابُه إذ يغضبُ
إنَّ العدوَ وإنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ ... فالحقدُ باقٍ في الصُّدُورِ مُغَيَّبُ
وإذا الصَّديقُ لَقِيتَه مُتَمَلقًا ... فَهُوَ الْعَدُوُّ وحَقُّهُ يُتَجَنَّبُ
لا خيرَ في وُدِّ امْرِيءٍ مُتَمَلِّقٍ ... حُلْوِ اللِّسَانِ وقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ
يلقاكَ يَحْلِفُ أنَّهُ بِكَ واثقٌ ... وإذا توارى عنك فَهُوَ الْعَقْرَبُ
يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حلاوةً ... ويَرُوغُ منْكَ كما يَرُوغُ الثَّعْلَبُ
وصِلِ الكرَامَ وإنْ رَمُوكَ بجَفْوَةٍ ... فالصَّفْحُ عنهم بالتَّجَاوُزِ أَصْوَبُ
واخْتَرْ قَرِينَكَ واصْطَنِعْهُ تَفَاخُرًا ... إنَّ الْقَرِينَ إلى الْمُقَارِنِ يُنْسَبُ
إنَّ الْغَنِيَّ منَ الرِّجَالِ مُكَرَّمٌ ... وتراهُ يُرْجَى مَا لَدَيْه ويُرْهَبُ
وَيُبَشُّ بالتَّرْحيبِ عِنْدَ قُدُومِه ... ويُقَامُ عِنْدَ سلاَمِه ويُقَرَّبُ
والْفَقْرُ شَيْنٌ للرجالِ فإنه ... حقًّا يهونُ به الشريفُ الأنسبُ
واخفِضْ جَنَاحَكَ للأقاربِ كُلِّهِمْ ... بتذللٍ واسمح لهم إن اذنبوا
ودَعِ الكذوبَ فلا يكن لك صاحبًا ... إنَّ الكذوبَ يشينُ حرًا يصحبُ

وزنِ الكـلامَ إذا نطقتَ ولا تـكن ثـرثـارةً فـي كـل نـادٍ تـخـطـبُ
واحفظ لـسانَكَ واحتـرز من لفظهِ فـالمـرءُ يسلمُ بالـلسـانِ ويـعطبُ
والسِّـرُّ فـاكْـتُـمْـهُ ولا تنطق بهِ إن الزجـاجـةَ كـسـرُها لا يُشْـعَبُ
وكـذاك سِـرُّ المرءِ إن لـم يُطْوِهِ نشـرتَـه ألسـنَةٌ تـزيدُ وتـكذبُ
لا تحـرصنَّ فـالحـرصُ ليس بزائدٍ في الرزقِ بل يشقى الحريصُ ويتعبُ
ويظلُّ مـلهـوفًـا يرومُ تحـيـلاً والرزقُ ليس بـحيلةٍ يُـسْـتَـجْلَبُ
كم عـاجـزٍ في الناسِ يأتي رزقُـهُ رَغَـدًا ويُحْـرَمُ كَـيِّسٌ وَيُخَـيَّبُ
وارعَ الأمـانةَ والخـيانةَ فـاجـتنبْ واعـدل ولا تظلم يَطبْ لك مَكْسَبُ
وإذا أصـابك نكبـةٌ فـاصبـر لهـا من ذا رأيتَ مُـسَلَّمًـا لا يُـنْكَبُ
وإذا رُمـيتَ من الزمـانِ بريبـةٍ أو نالك الأمـرُ الأشـقُّ الأصـعبُ
فـاضـرع لربكَ إنـه أدنى لمن يدعـوهُ من حـبلِ الوريـدِ وأقـربُ
كن ما استطعتَ عن الأنامِ بِمَعْزِلٍ إنَّ الكثـيـرَ مـن الورى لا يُصْـحَبُ
واحـذر مـصاحـبـةَ اللئـيمِ فـإنه يُعدي كما يُعـدي الصحيحَ الأجربُ
واحذر من المظلومِ سـهمًا صـائبًا واعلـم بأن دعـاءَه لا يُحْـجَبُ
وإذا رأيتَ الـرزقَ عَـزَّ ببـلدةٍ وخـشيتَ فـيهـا أنْ يَضيقَ الْمَـذْهَبُ
فارحل فـأرضُ اللهِ واسعةَ الْفَـضَا طولاً وعـرضًا شـرقُـهَـا والْمَغْـرِبُ
فلقدْ نَصَحْتُكَ إنْ قَـبِلْتَ نصيحتي فـالنُّصْحُ أغلى مـا يُبَـاعُ ويُوْهَبُ



الفصــل التاســع

الأحاديث الضعيفة والكتب المُؤلَّفة في الشيب

وهذا الفصل في بيان ما ورد في الشـيب من أحاديث لم تصح ولم تثبت؛ وذلك لئلا يُخَرَّج عليها أحكام، وليُحْتَرز منها، ومن هذه الأحاديث:

* رُوِيَ عن أنس مرفـوعًا: «**الشـيب نور، من خلع الشـيب فقـد خلع نور الإســلام، فـإذا بلغ الـرجل أربعين سنة وقـاه الله الأدواء الثـلاث: الجنون، والجذام، والبرص**»[١].

* ورُوِيَ عن الحسن مرسلا: «**كان ــ أي النبي** ﷺ **ــ يتمثل بهذا البيت: كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيًا**»[٢].

* ورُوِيَ عن أنس مرفوعًا: «**إن الله ليستحي من ذي الشيبة، إذا كان مسددًا لزومًا للسنة، أن يسأله فلا يعطيه**»[٣].

* ورُوِيَ عن جابر مرفوعًا: «**ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق بين النفاق:**

---

(١) **حديث ضعيف:** أخرجـه ابن عساكر، وانظر «ضـعيف الجامع الصـغير» للعلامـة الألباني رحمه الله تعالى.

(٢) **حديث ضعيف:** أخرجه ابن سعد، وانظر «ضعيف الجامع الصـغير» للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.

(٣) **حديث ضعيف:** أخرجه ابن النجار، وانظر «ضعيف الجامع الصغير» للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.

ذو الشيبة في الإسلام، والإمام المقسط، ومعلم الخير»[١].

* وَرُوِيَ عن أبي أمامة مرفوعًا: «**ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمام مقسط**»[٢].

* وَرُوِيَ عن أم سليم مرفوعًا: «**من شاب شيبة في الإسلام: كانت له نورا ما لم يغيرها**»[٣].

* وَرُوِيَ عن أنس مرفوعًا: «**من شاب شيبة في سبيل الله: تباعدت منه جهنم مسيرة خمسمائة عام**»[٤].

* وَرُوِيَ عن ابن أبي أوفى مرفوعًا: «**كان أحب الصبغ إليه: الصفرة**»[٥].

* وَرُوِيَ عن أبي رافع مرفوعًا: «**عليكم بسيد الخضاب الحناء؛ يطيب البشرة، ويزيد في الجماع**»[٦].

* وَرُوِيَ عن ابن عباس مرفوعًا: «**اخضبوا لِحَاكم؛ فإن الملائكة تستبشر بخضاب المؤمن**»[٧].

---

(١) **حديث ضعيف:** أخرجه أبو الشيخ في «التوبيخ»، وانظر «ضعيف الجامع الصغير» للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.
(٢) **حديث ضعيف:** أخرجه الطبراني في «الكبير»، وانظر «ضعيف الجامع الصغير» للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.
(٣) **حديث موضوع:** أخرجه الحاكم في «الكنى»، وانظر «ضعيف الجامع الصغير» للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.
(٤) **حديث ضعيف جدًا:** أخرجه ابن عساكر، وانظر «ضعيف الجامع الصغي» للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.
(٥) **حديث ضعيف:** أخرجه الطبراني في «الكبير»، وانظر «ضعيف الجامع الصغير» للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.
(٦) **حديث موضوع:** أخرجه ابن السني، وأبو نعيم، وانظر «ضعيف الجامع الصغير» للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.
(٧) **حديث موضوع:** أخرجه ابن عدي، وانظر «ضعيف الجامع الصغير» للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.

* وَرُوِيَ عن عائشة مـرفوعًا: «**أعلنوا هذا النكاح، واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بـالدفوف، وليولم أحدكم ولو بشـاة، وإذا خطب أحدكم امرأة وقد خضب بالسواد: فليعلمها؛ لا يغرنها**»[1].

* وَرُوِيَ عن أنس مـرفوعـًا: «**أول من خـضب بالحـناء و الكتم: إبراهيم، وأول من اختضب بالسواد: فرعون**»[2].

* وَرُوِيَ عن أبي الدرداء مرفوعًا: «**من خضب بالسواد: سود الله وجهه يوم القيامة**»[3].

* وَرُوِيَ عن عامر مرسلا: «**إن الله تعالى لا ينظر إلى من يخضب بالسواد يوم القيامة**»[4].

* وَرُوِيَ عن ابن عـباس: «**مر الـنبي ﷺ على رجل قد خـضب بالحناء؛ فقال: «ما أحـسن هذا!». ثم مر بآخـر قد خـضب بالحناء والكتم؛ فـقال: «هذا أحسن من هذا!». ثم مر بآخر قد خـضب بالصفرة؛ فقال: «هذا أحسن من هذا كله». قال: وكان «طاوس يصفر**»[5].

* وَرُوِيَ عن أنس بن مـالك قال: بينمـا أبو بكر وعمـر جالسان فـي نحر

---

(١) **حديث ضعيف:** أخرجه البـيهقي في «السنن»، وانظر «ضعـيف الجامع الصغيـر» للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.

(٢) **حديث ضعيف:** أخرجه ابن النجار، وانظر «ضعيف الجامع الصغير» للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.

(٣) **حديث ضعيف:** أخرجه الطبراني في «الكـبير»، وانظر «ضعيف الجامع الصغـير» للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.

(٤) **حديث ضعيف:** أخرجه ابن سعد، وانظر «ضعيف الجامع الصـغير» للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.

(٥) **حديث ضعيف:** أخرجه ابن ماجة، وانظر "ضعيف سنن ابن ماجة" للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.

المنبر، إذ طلع عليهما رسول الله ﷺ من بعض بيوت نسائه يمسح لحيته، ويرفعها فينظر إليها. قال أنس: وكانت لحيته أكثر شيبًا من رأسه، فلما وقف عليهما سلم. قال أنس: وكان أبو بكر رجلا رقيقًا، وكان عمر رجلا شديدًا، فقال أبو بكر: بأبي وأمي، لقد أسرع فيك الشيب. فرفع لحيته بيده فنظر إليها؛ وترقرقت عينا أبي بكر، ثم قال رسول الله ﷺ: «أجل شيبتني (هود) وأخواتها». قال أبوبكر: بأبي وأمي، وما أخواتها؟ قال: (الواقعة) و(القارعة) و(سأل سائل) و(إذا الشمس كورت) و(الحاقة)[(١)].

* وَرُوِيَ عن ابن مسعود قال: «كان النبي ﷺ يكره عشر خلال: الصفرة ـ يعني الخلوق ـ، وتغيير الشيب، وجر الأزرار، والتختم بالذهب، والتبرج بالزينة لغير محلها، والضرب بالكعاب، والرقى إلا بالمعوذات، وعقد التمائم، وعزل الماء لغير محله، وفساد الصبي غير محرمه»[(٢)].

* وَرُوِيَ عن صهيب مرفوعًا: «**إن أحسن ما اختضبتم به هذا السواد؛ أرغب لنسائكم فيكم، وأهيب لكم في صدور عدوكم**»[(٣)].

* وَرُوِيَ عن سهل بن سعد مرفوعًا: «**شيبتني هود وأخواتها: الواقعة، والحاقة، وإذا الشمس كورت**»[(٤)].

---

(١) قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في "الضعيفة": (ضعيف) ـ وقد صح الحديث من رواية ابن عباس مرفوعًا دون ذكر (القارعة) و(سأل سائل) و(الحاقة) وذكر مكانها (هود) و(المرسلات) و(عم يتساءلون) وقد خرج في الصحيحة ٩٥٥.

(٢) حديث منكر: أخرجه أبو داود، والنسائي وانظر "ضعيف سنن أبي داود" للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.

(٣) **حديث ضعيف:** أخرجه ابن ماجة، وانظر "ضعيف الجامع الصغير" للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.

(٤) **حديث ضعيف:** أخرجه الطبراني في "الكبير"، وانظر "ضعيف الجامع الصغير" للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.

* وَرُوِيَ عن أبي عمران الجوني مرسلا: «**شيبتني هود وأخواتها: ذكر يوم القيامة وقصص الأمم**»[١].

* وَرُوِيَ عن محمد بن علي مرسلا: «**شيبتني هود وأخواتها، وما فُعل بالأمم قبلي**»[٢].

* وَرُوِيَ «أن امرأة أتت عائشة ﵂؛ فسألتها عن خضاب الحناء؛ فقالت: لا بأس به، ولكني أكرهه، كان حبيبي رسول الله ﷺ يكره ريحه». قال أبو داود تعني خضاب شعر الرأس[٣].

* وأورد العلامة الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» عدة أحاديث في الخضاب لم تصح، منها:

«حديث: من مات مخضوبًا؛ لم يدخل القبر إلا ومنكر ونكير لا يسألانه». **وهو موضوع**.

وفي لفظ: الحناء سنة الله وسنة رسوله، يُسَبح الحناء على الرجل والمرأة والصبي. وركعتان بالحناء تعدل أربعًا وعشرين. إلخ... وفيه ـ أي هذا الحديث ـ كذابان.

وفي لفظ: شُوبُوا شَيْبكم بالحناء؛ فإنه أنضر لوجوهكم، وأبقى لقوتكم.

وفي لفظ: عليكم بالحناء.

---

(١) **حديث ضعيف**: أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في «زوائد الزهد»، وانظر «ضعيف الجامع الصغير» للعلامة الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٢) **حديث ضعيف**: أخرجه ابن عساكر، وانظر «ضعيف الجامع الصغير» للعلامة الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٣) **حديث ضعيف**: أخرجه أبو داود، وانظر «ضعيف سنن أبي داود» للعلامة الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ.

وفي لفظ: إن المختضب بالحناء لتصلي عليه ملائكة السماء.

ولا يصح شيء من ذلك.

وفي لفظ: سيد ريحان الجنة الحناء.

وفي إسناده من لا يُحتج به، وقد رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نُعيم في الطب، والبيهقي في الشُّعَب.

وفي لفظ: نفقة الدرهم في سبيل الله بسبعمائة، ونفقة الدرهم في خضاب بسبعة آلاف. وهو موضوع.. أي هذا الحديث.

وفي لفظ: اختضبوا؛ فإن الله وملائكته ورسله، حتى الحيتان في بحارها، والطيور في أوكارها: يصلون على صاحب الخضاب. وهو موضوع». اهـ.

* * *

وأما ما ذكر من الكتب التي ألفت في هذا الباب:

* «كتاب الشيب والتعمير». للإمام أبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا. انظر «كشف الظنون».

* كتاب «معاني الشيب وآدابه وفضل ألوانه وترتيب مقدماته وما قيل فيه نثرًا ونظمًا والخضابات». لـ: عبدالله بن حماد بن مروان الكاتب. انظر «الفهرست» لابن النديم.

* كتاب «الخضابات وذم الشيب ومدح الشباب». لـ: يعقوب بن محمد بن علي. انظر «الفهرست» لابن النديم.

* «كتاب الشباب وفضله على الشيب». لـ: الحكيمي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن قريش الحكيمي. انظر «الفهرست» لابن النديم.

* كـتاب «الشـيب والشبـاب». لـ: مـحمـد بن إسـحاق السـراج. انظر «الفهرست» لابن النديم.

* «كتاب الشيب والخضاب». لـ: عبدالرحمن بن سعيد. انظر «الفهرست» لابن النديم.

* «كتاب صـون المشيب». لـ: النوقاتي المحـدث الحافظ الأديب أبو عـمر محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان النوقاتي السجستاني. انظر «سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبي.

* «كتاب الخضاب». لـ: ابن أبي عاصم. انظر «فتح الباري».



---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم في "كتاب اللباس والزينة" "باب استحباب خضاب الشيب بصفرة أو حمرة".


رسالة في
احترام وتوقير الكبير



١) بيان مكانة الكبير في الإسلام:

إن لكبيـر السِّنِّ مكانة جليلة في الإســلام؛ فقد حَثَّ الإســلام الناسَ على توقـير الكبـير واحــترامه فـيمـا بينهم؛ وذلك من تمام مكارم الأخـلاق في الإسلام، فـبينما كبـير السن في غيـر دين الإسلام موضع سخـرية، وموطن تهكم واحتقار، إلاَّ أنه في الإسلام موضع احترام، وموطن إجلال وإعزاز[١].

وهذا ما قررته السنة المطهرة:

* عن عـبادة بن الصـامت رضي الله تعـالى عنه، أن النبي ﷺ قـال: «**ليس منا: من لم يجل كبيرنا.. ويرحم صغيرنا.. و يعرف لعالمنا حقه**»[٢].

* وعن ابن عمـرو رضي الله تعالى عنهمـا، أن النبي ﷺ قال: «**ليس منا: من لم يرحم صغيرنا.. ويعرف شرف كبيرنا**»[٣].

* وعن أنس رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «**ليس منا: من لم يرحم صغيرنا.. ويوقر كبيرنا**»[٤].

* وعن ابن عمرو رضي الله تعالـى عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا: فليس منا**»[٥].

اشتملت هذه الأحاديث الثابتة، على بيان مكانة كبير السن في الإسلام.

---

(١) وإن كان عكس ذلك حاصل في زماننا هذا؛ إذ لكبير السن في هذه المجتمعات غير المسلمة مكانةٌ غير مكانته عند بعض المسلمين.

(٢) **حديث حسن:** أخرجه الإمام أحمد، والحاكم، وانظر «صحيح الجامع الصغير».

(٣) **حديث صحيح:** أخرجه الإمام أحمد، والحاكم، والترمذي، وانظر «صحيح الجامع الصغير».

(٤) **حديث صحيح:** أخرجه الترمذي. وانظر «صحيح الجامع الصغير».

(٥) **حديث صحيح:** أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود، وانظر «صحيح الجامع الصغير».

كما أنها اشتملت على بيان ما لكبير السن بعدة ألفاظ، وهي:

قوله ﷺ: «**ليس منا: من لم يجل كبيرنا**».

وقوله ﷺ: «**ويعرف شرف كبيرنا**».

وقوله ﷺ: «**ويوقر كبيرنا**».

وقوله ﷺ: «**ويعرف حق كبيرنا**».

فمكـانة كبيـر السن: أن: يُجَلَّ.. وأن يُعـرف شرفه.. وأن يُـوقَّر.. وأن يُعرف حقه.

قال العلامة المناوي - رحمه الله تعالى - في «فيض القدير»:

«(**ليس منا: من لم يجل كبـيرنا**): بأن لم يحتـرمه، ولم يطع أمره في غـير معصـية. قال الحكيم: إجلال الكبير هـو حق سِنِّه؛ لكونه تقلب في العبودية للّه في أمد طويل». أهـ.

وقال العلامة المناوي - رحمه الله تعالى - في «فيض القدير»:

«(**ويعرف شرف كبيرنا**): بما يستحقه من التعظيم والتبجيل، وعليك برحمة الخلق أجمعين، ومراعاتهم كيفمـا كانوا؛ فإنهم عبيد اللّه وإن عصوا، وخلق اللّه وإن فُضل بعـضهم على بعض؛ فـإنك إذا فعلت: نجح سعيـك، وسما جدك.

قال الحـافظ العراقي: ويؤخذ من قوله: «شرف كبـيرنا»: أنه إنما يسـتحق الكبـير الإكرام إذا كـان له شرف بعلم، أو صـلاح، ونسب زكي كـالشرف، ويحتمل أن التـعمير في الإسلام شـرف؛ لقوله في الحديث المار: «خير الناس من طال عمره، وحسن عمله». نعم، إن كان شـيخًا سيء العمل فلا يستحق الإكرام؛ لقوله في بقـية الحديث: «وشر الناس من طال عمـره وساء عمله».

لكن يجيء في حديث: «ما من شاب أكرم شـيخًا لسنه؛ إلا قيض اللّه له من يكرمه عند سنه»[١] .

فظاهر الإكرام أنه للسن بغير قيد». أهـ.

وقال العلامة المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ في «الفيض»:

«(ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا): الواو بمعنى «أو».

فالتحـذير من كل منهما وحده، فـيتعين أن يُعامل كلاً منهـما بما يليق به، فيُعطى الصغـير حقه من الرفق به، والرحمة، والشفقـة عليه، ويُعطى الكبير حقه من الشرف، والتوقير. قال الحافظ العراقي: فيه التوسعة للقادم على أهل المجلس، إذا أمكن توسعـهم له، سيما إن كـان ممن أُمر بإكرامه من الـشيوخ شيبًا، أو علمًا، أو كونه كبير قوم». أهـ.

وقال العلامة المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ أيضًا:

«(ويعرف حق كبيرنا): سنًا أو علمًا.

(فليس منا): أي ليس على طريقتنا وسنتنا». أهـ.

وفي «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي»:

«(كبيرنا): هو شامل للشاب والشيخ». أهـ.

* * *

* عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: قَالَ «أَرَانِي أَتَسَـوَّكُ بِسوَاك، فَجَاءَنِي رَجُلان، أَحَـدُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ الآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأَصْـغَرَ مِنْهُمَا؛ فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ. فَدَفَعْتُهُ إِلَى الأَكْبَرِ مِنْهُمَا»[٢] .

(١) **حديث ضعيف:** أخرجه الترمذي عن أنس مرفوعًا، وانظر «ضعيف الجامع الصغير».
(٢) **حديث صحيح:** أخرجه البخاري ومسلم.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - في «فتح الباري»:

«قال ابن بطال: فيه تقديم ذي السن في السواك، ويلتحق به الطعام والشراب والمشي والكلام.

وقال المهلب: هذا ما لم يترتب القوم في الجلوس، فإذا ترتبوا: فالسنة حينئذ تقدم الأيمن. وهو صحيح». أهـ.

* * *

* عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «أمرني جبريل أن أكبر»[1].

قال العلامة المناوي - رحمه الله تعالى - في «فيض القدير»:

(أمرني جبريل): أي عن الله تعالى. (أن): أي بأن. (أكبر): أي أن أقدم الأكبر في السن في مناولة السواك.

وفيه أن السن من الأوصاف التي يقدم بها، فيستدل به في أبواب كثيرة من الفقه، سيما في مورد النص، وهو الإرفاق بالسواك، ثم يطرد في جميع وجوه الإكرام: كركوب، وأكل، وشرب، وانتعال، وطيب، ومحله ما إذا لم يعارض فضيلة السن أرجح منها، وإلا قُدِّمَ الأرجح: كإمامة الصلاة، والإمامة العظمى، وولاية النكاح، وإعطاء الأيمن في الشرب، ولا منافاة بين ذلك والحديث؛ لأنه لم يدل على أن السن يقدم به على كل شيء، بل إنه شيء يحصل به التقديم.

قال الحكيم: السواك من حق الأسنان؛ لأنه يشد اللثة، ويذهب الحفر، فأكبرهم سنًا أقدمهم خروج أسنان، ومن كان أقدم فهو أحق». أهـ.

* * *

(١) **حديث صحيح:** أخرجه الحكيم، وأبو نُعيم. وانظر «صحيح الجامع الصغير».

* عَنْ بُشَيْـرِ بْنِ يَسَارٍ: زَعَمَ أَنَّ رَجُلا مِنْ الأَنْـصَارِ يُقَالُ لَهُ سَـهْلُ بْنُ أَبِي حَثْمَـةَ، أَخْبَرَهُ أَنَّ نَفَرًا مِـنْ قَوْمِه انْطَلَقُوا إِلَى خَـيْبَرَ فَتَـفَرَّقُوا فِيـهَا، وَوَجَدُوا أَحَدَهُمْ قَتِيلا، وَقَالُوا لِلَّذِي وُجِدَ فِيهِمْ: قَدْ قَتَلْتُمْ صَاحِبَنَا. قَالُوا: مَا قَتَلْنَا وَلا عَلِمْنَا قَاتِلا. فَانْطَلَقُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ؛ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، انْطَلَقْنَا إِلَى خَيْبَرَ فَوَجَدْنَا أَحَدَنَا قَتِيلا. فَقَالَ: «الْكُبْرَ الْكُبْرَ». فَقَالَ لَهُمْ: «تَأْتُونَ بِالْبَيِّنَة عَلَى مَنْ قَـتَلَهُ». قَالُوا: مَا لَنَا بَيِّنَةٌ. قَالَ: «فَيَحْلِـفُونَ». قَالُوا: لا نَرْضَى بِأَيْمَـانِ الْيَهُـودِ. فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُبْطِلَ دَمَـهُ؛ فَوَدَاهُ مِـائَةً مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ[1].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في «الفتح»:

«قوله (فقـال الكبر الكبر) بضم الكاف وسكون الموحدة وبالنصب فيـهما، على الإغراء.

زاد في رواية يحيى بن سعيد:«فبدأ عبدالرحمن يتكلم وكان أصغر القوم».

زاد حماد بن زيد عن يحيى عند مسلم: «في أمر أخيه».

وفي رواية بشر: «وهو أحدث القوم».

وفي رواية الليث: «فذهب عبدالرحمن يتكلم؛ فقال: «كبر الكُبر».

الأولى أمر والأخرى كالأول. ومثله في رواية حماد بن زيد وزاد: «أو قال يبدأ الأكبر».

وفي رواية بشر بن المفضل: «كبر كبر» بتكرار الأمر.

وكذا في رواية أبي ليلى وزاد: «يريد السن.

(١) حديث صحيح: أخرجه البخـاري في «كتاب الديات» «باب القسامة»، ومـسلم في «كتاب القسامة والمحاربين» «باب القسامة».

واستدل به على تقديم الأسن في الأمر المهم إذا كانت فيه أهلية ذلك لا ما إذا كان عـريًا عن ذلك، وعلى ذلك يحمل الأمر بتـقديم الأكبـر في حديث البـاب، إما لأن ولي الدم لم يكن مـتأهـلا فأقـام الحاكم قـريبه مـقامـه في الدعوى، وإما لغير ذلك». أهـ.

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في «شرح مسلم»:

«وفي هذا فضيلة السن عند التساوي في الفضائل، ولهذا نظائر، فإنه يقدم بها في الإمامة، وفي ولاية النكاح ندبًا، وغير ذلك». أهـ.

وقال العلامة المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ في «فيض القدير»:

«(الكبر الـكبر): أي كبـر الكبر. . أو ليـبدأ الأكـبر بالكلام. . أو قـدموا الأكبر؛ إرشادًا إلى الأدب في تقديم الأسن». أهـ.

* * *

٢) بيان مظاهر احترام وتوقير الكبير:

ولاحترام الكبير وتوقيره مظاهر، منها:

١ـ أنْ يُبدأَ بالسلام:

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»(١).

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في «فتح الباري»:

«وقد تكلم العلماء عـلى الحكمة فيمن شرع لهم الابتـداء؛ فقال ابن بطال

---

(١٠) **حديث صـحيح:** أخرجـه البخـاري في «كتاب الاسـتئـذان» «باب تسليم الصغـير على الكبير».

عن المهلب: تسليم الصغير؛ لأجل حق الكبير؛ لأنه أُمر بتوقيره والتواضع له، وتسليم القليل؛ لأجل حق الكثير؛ لأن حقهم أعظم، وتسليم المار؛ لشبهه بالداخل على أهل المنزل، وتسليم الراكب؛ لئلا يتكبر بركوبه فيرجع إلى التواضع». أهـ.

٢ـ تقديم الكبير في الإمامة:

* عَنْ أَبِي قِلابَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ: أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا، أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا؛ سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا؛ فَأَخْبَرْنَاهُ؛ قَالَ: «**ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ**». وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لا أَحْفَظُهَا. «**وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»(١).

* وعَنْ أَبِي قِلابَةَ، عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ قَالَ: أَتَى رَجُلان النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدَانِ السَّفَرَ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا أَنْتُمَا خَرَجْتُمَا: فَأَذِّنَا، ثُمَّ أَقِيمَا، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمَا أَكْبَرُكُمَا**»(٢).

* وعَنْ إِسْمَعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَوْسَ بْنَ ضَمْعَجٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا مَسْعُودٍ يَقُولُ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ**

---

(١) **حديث صحيح:** أخرجه البخاري في «كتاب الأذان» «باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة كذلك». ومسلم في «كتاب المساجد ومواضع الصلاة» «باب من أحق بالإمامة».

(٢) **حديث صحيح:** أخرجه البخاري في «كتاب الأذان» «باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة كذلك».

وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً، فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا، وَلا تَؤُمَّنَّ الرَّجُلَ فِي أَهْلِهِ، وَلا فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا تَجْلِسْ عَلَى تَكْرِمَتِهِ فِي بَيْتِهِ إِلا أَنْ يَأْذَنَ لَكَ، أَوْ بِإِذْنِهِ»(١).

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في «شرح مسلم»:

«فيه: الحث على الأذان والجماعة، وتقديم الأكبر في الإمامة إذا استووا في باقي الخصال، وهؤلاء كانوا مستوين في باقي الخصال؛ لأنهم هاجروا جميعًا، وأسلموا جميعًا، وصحبوا رسول الله ﷺ ولازموه عشرين ليلة؛ فاستووا في الأخذ عنه، ولم يبق ما يقدم به إلا السن«. أهـ.

وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في «فتح الباري»:

قوله: (**وليؤمكم أكبركم**): ظاهره تقديم الأكبر بكثير السن وقليله.

وأما من جوز أن يكون مراده بالكبر ما هو أعم من السن أو القدر، كالتقدم في الفقه والقراءة والدين، فبعيد؛ لما تقدم من فهم راوي الخبر، حيث قال للتابعي: «فأين القراءة؟« فإنه دال على أنه أراد كبر السن. وكذا دعوى من زعم أن قوله: «وليؤمكم أكبركم« معارض بقوله: «يؤم القوم أقرؤهم«. لأن الأول يقتضي تقديم الأكبر على الأقرأ، والثاني عكسه، ثم انفصل عنه بأن قصة مالك بن الحويرث واقعة عين قابلة للاحتمال، بخلاف الحديث الآخر؛ فإنه تقرير قاعدة تفيد التعميم. قال: فيحتمل أن يكون الأكبر منهم كان يومئذ هو الأفقه. انتهى. والتنصيص على تقاربهم في العلم يرد عليه، فالجمع الذي قدمناه أولى. والله أعلم». أهـ.

---

(١٣) حديث صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب المساجد ومواضع الصلاة» «باب من أحق بالإمامة».

٣ـ الشفقة عليهم والرفق بهم:

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا صَلَّى أَحَـدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّـفْ؛ فَإِنَّ مِنْهُمْ الضَّعِيفَ، وَالسَّقِيمَ، وَالْكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُـمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ**»(١).

٤ـ تقديمه في الإعطاء:

* عن عبـدالله بن كعب، أن النبي ﷺ: «كان إذا استن أعطـى السواك الأكبر، وإذا شرب أعطى الذي عن يمينه»(٢).

قال العلامة المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ في «فيض القدير»:

«(كان إذا استن): أي تسوّك، من السن، وهو إمرار شيء فـيه خشونة على آخر، ومنه المسن.

(أعطى السـواك الأكبـر): أي يناوله بعـد مـا تسـوك به إلى أكبـر القـوم الحاضرين؛ لأن توقير الأكبر واجب، وإذا لم نبدأ به لم نوقره، فيندب تقديم الأكـبر في السـواك، وغيـره من سائر وجـوه الإكرام والتـوقيـر، وفيـه حِلٌّ الاستـياك بحضرة الغـير، والظاهر أن المراد به الأفضل، ويحـتمل الأسن ثم محل تقديمه، مـا لم يؤد إلى ترك سنته، ككون مَنْ عن اليمين خلافـه؛ كما يشير إليه قوله: (وإذا شرب) ماءً أو لبنًا (أعطى الذي عن يمينه) ولـو مفضولاً صغيرًا». أهـ.

(١) **حديث صـحيح:** أخرجـه البخـاري في «كتاب الأذان» «باب إذا صـلى لنفسه فلـيطول ما شاء». ومسلم في «كتاب الصلاة» «باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام».

(٢) **حديث صحيح:** أخرجه الحكيم، وانظر «صحيح الجامع».

٥ـ حُسن الْخُلُق، وتمام الأدب معه:

وقد مرت الأحاديث التي تدل على ذلك، ومنها:

قوله ﷺ: «**ليس منا: من لم يجل كبيرنا**».

وقوله ﷺ: «**ويعرف شرف كبيرنا**».

وقوله ﷺ: «**ويوقر كبيرنا**».

وقوله ﷺ: «**ويعرف حق كبيرنا**».

فينبغي أن يُظهر له: الإجلال والاحترام والتوقير، وذلك يكون:

* بأنْ يُوسَّع له في المجالس.
* وأنْ يُلتزم معه التأدب في الحديث، مع خفض الصوت في الكلام.
* وأنْ يُنَادَى بألفاظ التبجيل والاحترام.
* وأنْ لا يكون موضع ازدراء، أو احتقارٍ، أو سخرية.

• صور ونماذج:

١ ـ عن عَبْـدِاللَّه بْنِ عُمَـرَ قال: قَالَ رَسُـولُ اللَّه ﷺ: «إِنَّ مِنْ الشَّـجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَـثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ». فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُاللَّه: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَـا رَسُولَ اللَّه. قَالَ: فَقَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ». قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ؛ قَالَ: لأَنْ تَكُونَ قُلْتَ هِيَ النَّخْلَةُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وكَذَا[١].

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في «شرح مسلم»:

---

(١) **حديث صحيح:** أخرجه البخاري ومسلم.

وفي هذا الحديث فوائد:

منها استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه؛ ليختبر أفهامهم، ويرغبهم في الفكر والاعتناء.

وفيه: ضرب الأمثال والأشباه.

وفيه: توفير الكبار؛ كما فعل ابن عمر، لكن إذا لم يعرف الكبار المسألة؛ فينبغي للصغير الذي يعرفها أن يقولها.

وفيه: سرور الإنسان بنجابة ولده، وحسن فهمه، وقول عمر رضي الله عنه: (لأن تكون قلت هي النخلة أحب إلي) أراد بذلك أن النبي ﷺ كان يدعو لابنه، ويعلم حسن فهمه ونجابته.

وفيه: فضل النخل. قال العلماء: وشبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام؛ فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس، وبعد أن ييبس يتخذ منه منافع كثيرة، ومن خشبها وورقها وأغصانها، فيستعمل جذوعًا وحطبًا وعصيًا ومخاصر وحصرًا وحبالا وأواني وغير ذلك، ثم آخر شيء منها نواها، وينتفع به علفًا للإبل، ثم جمال نباتها، وحسن هيئة ثمرها، فهي منافع كلها، وخير وجمال، كما أن المؤمن خير كله، من كثرة طاعاته ومكارم أخلاقه، ويواظب على صلاته، وصيامه، وقراءته، وذكره، والصدقة، والصلة، وسائر الطاعات، وغير ذلك، فهذا هو الصحيح في وجه التشبيه«. أهـ.

٢ - «عن قتادة: سمعت مطرفًا، عن حكيم بن قيس بن عاصم: أن أباه أوصى عند موته بنيه فقال: اتقوا الله، وسودوا أكبركم؛ فان القوم إذا سودوا

أكبرهم: خلفوا أباهم، وإذا سودوا أصغرهم: أزرى بهم ذلك في أكفائهم»[١].

٣) قال ابن مفلح ـ رحمه الله تعالى ـ في «الآداب الشرعية»:

«وَقَـالَ عَبْـدُاللَّه ـ يعني ابنَ الإمـام أحمـد :ـ رَأَيْت أَبِي إِذَا جَاءَ الـشَّيْخُ وَالْحَدَثُ مِنْ قُـرَيْشٍ أَوْ غَيْـرِهِمْ مِنْ الأَشْرَافِ، لَمْ يَخْـرُجْ مِنْ بَابِ الْمَسْـجِدِ حَتَّى يُخْرِجَهُمْ، فَيَكُونُوا هُمْ يَتَقَدَّمُونَهُ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ بَعْدِهِمْ.

وَقَالَ الْمَرُّوذِيُّ: رَأَيْته جَاءَ إلَيْه مَوْلَى ابْنِ الْمُبَارَك، فَأَلْقَى لَهُ مِخَدَّةً وَأَكْرَمَهُ، وَكَانَ إذَا دَخَلَ عَلَيْه مَنْ يُكْرَمُ عَلَيْه، يَأْخُذُ الْمِخَدَّةَ مِنْ تَحْتِه فَيُلْقِيهَا لَهُ.

قَالَ الْمَرُّوذِيُّ: وَكَانَ أَبُو عَبْدِاللَّه مِنْ أَشَـدِّ النَّاسِ إعْظَامًا لإخْوَانه، وَمَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ؛ لَقَـدْ جَاءَه أَبُو هَمَّـامٍ رَاكِـبًا عَلَى حِـمَارٍ، فَـأَخَـذَ لَهُ أَبُو عَبْـدِاللَّه بِالرِّكَابِ، وَرَأَيْته فَعَلَ هَذَا بِمَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْ الشُّيُوخِ». أهـ.

* * *

تنبيــه:

لِيُعْلَم أن الكبير المقصود احترامه وتوقيره، هو كبير السِّنِّ، وقد يكون أيضًا كبير القَدْرِ والشرف، وقد يكون كبير المكانة والعمل. والله تعالى أعلم.

* * *

مطلب في بيان بعض الأحاديث الضعيفة الواردة في هذا الباب:

وهذه بعض الأحاديث الواردة في احترام وتوقير الكبير، ولكنها غير ثابتة؛ إذ أنها إما أن يكون حديثها: ضعيف.. أو ضعيف جـدًا.. أو موضوع. كما أفاد ذلك الشيخ العلامة الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ في «**ضعيف الجامع**».

(١) البخاري في «الأدب المفرد».

* رُوِيَ عن سعيد بن العـاص مرفوعًا: «حق كبير الإخـوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده». ـ البيهقي في «شعب الإيمان». **ضعيف**.

* ورُوِيَ عن أبي أمـامة مـرفوعًـا: «البركـة في أكابرنا، فـمن لم يرحم صغيرنا، ويجـل كبيرنا: فليس منا». لطبراني في «المعـجم الكبير». **ضعيف جدًا**.

* ورُوِيَ عن ضميرة مرفوعًا: «ليس منا: من لم يرحم صغيرنا، ولم يعرف حق كـبـيـرنا، وليس منا من غـشنا، ولا يكـون المؤمن مـؤمنا حـتى يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه». الطبراني في «المعجم الكبير». **موضوع**.

* ورُوِيَ عن ابن عباس مرفوعًا: «ليس منا: من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف، وينه عن المنكر». الإمام أحمد، والترمذي. **ضعيف**.

* ورُوِيَ عن أنس مـرفوعًـا: «إذا أراد الله بأهل بيت خـيرًا: فـقههـم في الدين، ووقر صغـيرهم كبيرهم، ورزقـهم الرفق في معيشتـهم، والقصد في نفقـاتهم، وبصرهم عيـوبهم فيـتوبوا منها، وإذا أراد بهم غـير ذلك: تركهم هملا». الدارقطني في «الأفراد». **موضوع**.

* ورُوِيَ عن أبي أمامة مـرفوعًا: «أوصي الخليفـة من بعدي: بتقوى الله، وأوصيـه بجمـاعة المسلمين، أن يعظم كـبيرهم، ويرحم صـغيـرهم، ويوقر عالمهم، وأن لا يضربهم فـيذلهم، ولا يوحشهم فيكفرهم، وأن لا يخـصيهم فيقطع نسلهم، وأن لا يغلق بابه دونهم فيأكل قويهم ضـعيفهم». البيهقي في «السنن». **ضعيف**.

* ورُوِيَ عن أنس مرفـوعًا: «إن من إجـلالي توقيـر الشيخ من أمـتي». الخطيب البغدادي في «الجامع». **ضعيف**.

* ورُوِيَ عن أبي رافع مرفوعًا: «الشيخ في أهله كالنبي في أمته». الخليلي في «مشيخته»، وابن النجار. **موضوع**.

* ورُوِيَ عن ابن عمر مرفوعًا: «الشيخ في بيته كالنبي في قومه». ابن حبان في «الضعفاء« والشيرازي في «الألقاب». **موضوع**.

* ورُوِيَ عن أنس مرفوعًا: «فضل الشاب العابد الذي تعبد في صباه، على الشيخ الذي تعبد بعدما كبرت سنه، كفضل المرسلين على سائر الناس». أبو محمد التكريتي في «معرفة النفس». **ضعيف**.

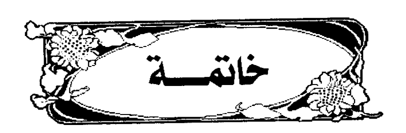
* ورُوِيَ عن ابن مسعود: «من أشراط الساعة: أن يمر الرجل في المسجد لا يصلي فيه ركعتين، وأن لا يسلم الرجل إلا على من يعرف، «**وأن يبرد الصبي الشيخ**». الطبراني في «المعجم الكبير«. تحقيق الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٨٩٦ في «صحيح الجامع« **وما بين القوسين ضعيف عند الألباني** انظر «ضعيف الجامع» رقم: ٥٢٨٢.

* ورُوِيَ عن أنس مرفوعًا: «ما أكرم شاب شيخًا لسنه؛ إلا قيض الله من يكرمه عند سنه». الترمذي. **ضعيف**.

* ورُوِيَ عن كليب الجهني مرفوعًا: «الأكبر من الإخوة بمنزلة الأب». الطبراني في «الكبير»، وابن عدي، والبيهقي في «الشُّعَب». **موضوع**.

* ورُوِيَ عن أبي جحيفة مرفوعًا: «جالسوا الكبراء، وسائلوا العلماء، وخالطوا الحكماء». الطبراني في «الكبير». **ضعيف جدا**.





خاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهذا آخر ما تيسر جمعــه وكتابته، في بيان فضل الشيب في الإسلام، مع بيان أحكامه، كما بَيَّنَّا أيضًا طرفًا مما ينبــغي من احترام وتوقير لكبير السن في الإسلام.

والله تعالى نسأل القبول والنفع، إنه تعالى على كل شيء قدير.

وَصَلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وأمته.

وآخر دعوانا، أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو سهل خالد بن رمضان حسن

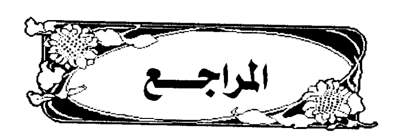
السبت: ١٦ ربيع الآخر، ١٤٢٦هـ

الموافق: ٢٠٠٥/٥/٢٥م.

مصر - بني سويف - ميدان مولد النبي

E . aboosahl@yahoo . com





المراجع

أولاً: القرآن الكريم

* القرآن الكريم.
* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ محمد فؤاد عبدالباقي.
* تفسير القرطبي.
* تفسير ابن كثير.
* تفسير الواحدي.
* التبيان في أقسام القرآن/ لابن القيم.

* * * * *

ثانيًا: السنة المطهرة

* صحيح البخاري.
* صحيح مسلم.
* سنن أبي داود.
* سنن الترمذي.
* سنن ابن ماجة.
* سنن النسائي.
* سنن الدارمي.

* موطأ الإمام مالك.
* مسند الإمام أحمد.
* مستدرك الحاكم.
* شعب الإيمان للبيهقي.
* صحيح الجامع الصغير/ للألباني.
* ضعيف الجامع الصغير/ للألباني.

* * * * *

ثالثًا: شروح السنة

* فتح الباري شرح صحيح البخاري/ للحافظ ابن حجر العسقلاني.
* صحيح مسلم بشرح النووي.
* فيض القدير شرح الجامع الصغير/ للعلاَّمة المناوي.
* تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي/ للمباركفوري.
* عون المعبود شرح سنن أبي داود/ لأبي الطيب العظيم آبادي.
* المنتقى شرح الموطأ/ للباجي.
* شرح سنن ابن ماجة/ للسندي.

* * * * *

رابعًا: الفقه والأصول

* الفواكه الدواني/ أحمد بن غنيم النفراوي.
* المجموع شرح المهذب/ للإمام النووي.

* مغني المحتاج/ للشربيني.

* المغني/ لابن قدامة.

* مجموع الفتاوى/ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

* زاد المعاد/ لابن القيم.

* حاشية ابن القيم.

* السيل الجرار/ للشوكاني.

* * * * *

خامسًا: كتب الآداب

* الآداب الشرعية والمنح المرعية/ لابن مفلح.

* غذاء الألباب شرح منظومة الآداب/ للسفاريني.

* * * * *

سادسًا: اللغة والأدب والرقاق

* لسان العرب/ لابن منظور.

* القاموس المحيط/ للفيروزآبادي.

* مختار الصِّحاح/ للرازي.

* النهاية في غريب الحديث/ لابن الجزري.

* المعجم الوجيز.

* جمهرة الأمثال/ لأبي هلال العسكري.

* المستقصى في أمثال العرب/ للزمخشري.

* مجمع الأمثال/ للميداني.

* أدب الكاتب/ لابن قتيبة.

* خزانة الأدب وغاية الأرب/ للحموي.

* البيان والتبيين/ للجاحظ.

* فقه اللغة/ للثعالبي.

* قِرَى الضيف/ لعبدالله بن محمد بن سفيان بن قيس.

* نفح الطيب من غـصن الأندلس الرطيب/ أحـمد بـن محـمد المقـري التلمساني.

* جمهرة خطب العرب/ أحمد زكي صفوت.

* المدهش/ لابن الجوزي.

* * * * *

سابعًا: متنوعات

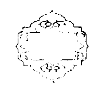
* سير أعلام النبلاء/ للذهبي.

* الفهرست/ لابن النديم.

* كشف الظنون/ لحاجي خليفة.



الفهرس



فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

